بَوَاعِثُ اليُونُوبِيَا والدِّيسْتُوبِيَا فِي العَصْرِ الجَاهِلِيِّ "

بَينَ التَّنْظِيرِ وَالمَمَارَسَةِ

إعداد

أ.د / عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

فرع جامعة الأزهر بكفر الشيخ - مصر

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

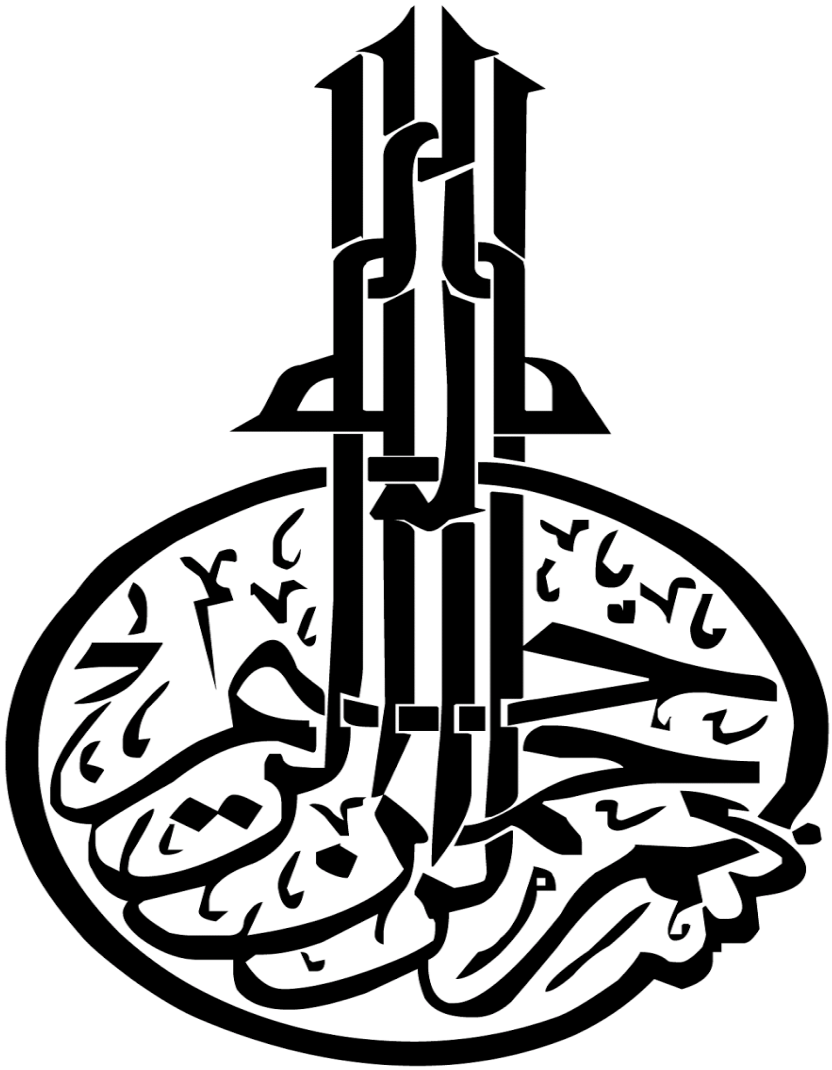

بَوَاعِثُ اليُوتُوبِيَا والدِّيستُوبِيَا في العَصرِ الجَاهِلِي" بَينَ التَّنظِيرِ وَالمَمَارَسَةِ "

عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين

قسم الأدب والنقد –كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات كفر الشيخ – جامعة الأزهر – وأستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – بكلية آداب جامعة الجوف – السعودية

البريد الإلكتروني

Ammohammad@ju.edu.sa

الملخص

غدا مفهومُ اليوتوبيا يتردُدُ كثيراً في الأوساط الأدبية والنقدية كمصطلحٍ جديدٍ يُطلق علىٰ كلِّ عمل أدبي يحمل من الفضائل والمُثل العُليا مالم يحمله الواقعُ ، فبات نموذجًا لمجتمع خياليٍّ يتحقق فيه الكمالُ أو يقترب منه ، فرحتُ أقلِّبُ النَّظرَ في تراثنا القديم ، وأُردِّدَ البصرَ لتخريج الموضوعات وانتشالها من الموت المحتمل الذي تُخيِّم عليه الإيديولوجيا المتطاحنةُ والرأسماليةُ المهيمنةُ واليوتوبيا المتنازعةُ ، فعرضتُ بعضَ النَّماذج القَيِّمَةِ لِرسمِ تراثِنا في أذهان الأجيال ، مُتحرِّيًا الدِّقةَ حتىٰ يَظفَرَ البحثُ بمرادِه.

فالدعوةُ إلىٰ الحرية، ودفعُ الجوع، وردُّ الظلم، ومحاربةُ الفقر، ومعاونةُ المحتاجين، وطلبُ المساواة ، ومقاومةُ الانهيار الاجتماعي والقمعِ السياسي أو الشمولية، تلك الفيروسات التي أمرضت المجتمعَ وأضعفت مناعتَه .. وغيرها من الصفات التي دَعت إلىٰ معالجتها اليوتوبيا في مَدِينتِها الفَاضلةِ ؛ كانت من أهم الأشياء التي عَانَىٰ منها العربُ في واقعهم السياسي القاسي الذي سَادَ مجتمعَهم ، ويبدوا أنهم أرادوا يوتوبيا صريحةً طالما يرفضون ذلك الواقعَ ، فأحْدَثُوا أولَ تمرُّدٍ ، وأول خُروجٍ ، وأولَ صدعٍ قويٍّ الأثر في مجتمعهم القديم .

- **الكلمات المفتاحية** : الطوباوية ، الديستوبيا ، الصعاليك ، الدوافع ، النبوة .

The emanation of utopia and dystopia in the pre-Islamic(The Jahili) Era "between theorization and practice"

Atia Mahmoud Hassanin
Assistant Professor, Faculty of Arts, -Jouf University, Saudi Arabia - Assistant Professor, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University, Egypt
Email.Ammohammad@ju.edu.sa

Abstract:

The concept of utopia has become frequent in literary and critical circles as a new term for every literary work that carries virtues and ideals unless reality bears it, so it has become a model for an imaginary society in which perfection is achieved or approached. The potential haunted by the conflicting ideology, dominant capitalism, and the conflicting utopia, so I presented some valuable models to paint our heritage in the minds of generations, looking for accuracy so that the research could win.

Calling for freedom, fighting hunger, repelling injustice, fighting poverty, helping the needy, seeking equality, resisting social collapse and political oppression or totalitarianism, those viruses that sickened society and weakened its immunity ... and other qualities that called for treatment of utopia in its utopian city, were among The most important goals that the Arabs suffered from in their harsh political reality that prevailed in their society, and it seems that they wanted an outright utopia as long as they reject that reality, so they created the first rebellion, the first exit, and the first strong-impact rift in their old society.

Keywords: Utopia, Dystopia, Tramps , Motives, Prophecy.

مقدمة :

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله ، شرع لنا دينا قويما ، ومنحنا العقل تكريما وتكليفا ، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه وكان بعباده خبيرا لطيفا ، أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، ونزَّه نبيه عن الشعر والتأويل ، عليه وعلىٰ آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ...

وبعد

فمهما يبلغ الإنسانُ من تطور، فلا بد من بقاء الصراع بين الشر الواقعي والمثالية غير المتناهية التي يطلق عليها (الخلود ، أو الطوباوية ، أو الانبعاث المتجدد ، أو اليوتوبيا) حتىٰ يبلغ الإنسان مرحلة يعتبر الحصول علىٰ الفضيلة فيها جزءاً ضروريا ، والعيوب والمثالب فريضة واقعية متفاوتة لابد من التخلص منها ، فاليوتوبيا أو الطوباوية حقيقة يتضاءل وجودها الخارجي ، وهي حلمٌ راود الإنسانُ منذُ قدم الأزمان من أجل تحقيق الحرية ، والعدالة ، والسعادة ، والسلام، والمساواة ، والإنسانية ، وهي مستقبلٌ ، دوراتُ أزمانِها محدودةُ الأمدِ يتخللها نظرةٌ يصعبُ معها تحقيقُ كافة خصائصها .

ولقد حفل تراثنا العربي القديم بالعديد من النماذج – منها: تمرد امرئ القيس، وثورة الصعاليك ، والدعوة إلىٰ السلام عند زهير– التي أظهرت محاولات قريبة الشبه باليوتوبيا المعاصرة ، إلا أن هذا كان غير رائج ؛ لأنه ظهر بصورة فردية أولية ولم تحظ بالدراسةِ والعناية.

فالدافع – في بادئ الأمر– كان فرديـًا يحمل طابعـًا خاصـًا أو دعوة لحل قضية ما ، فلم يكن هَمُّ امرئ القيس الانتماء والولاء للقبيلة ، أو همُّ زهير فرضية السلام العام ، وإنما كان امرؤ القيس يريد عودة ملكه الزائل ، ويريد زهير

استمرارية الصلح بين القبيلتين المتناحرتين عبس وذبيان لتأريخ مجده الشخصي، ثم تطور الدافع نوعا ما ، فكانت الصعلكة التي تَمَرَّدت علىٰ النظام القبلي صاحب السيادة والسلطة دون أن تحرك فينا الشعور بالخوف ، بل تثير فينا – أحياننا – مشاعر الشفقة ؛ لأنها لم تخرج بطارئ فردي أو منفعة خاصةٍ فحسب ، بل تطرح قضيةَ مجتمعٍ في وجه الرأسمالية والديكتاتورية ، لتدل دلالة واضحة علىٰ الشكوىٰ والألم والجوع وآثارهم علىٰ الإنسان ، كما تدل علىٰ سمات سلوكية معينة من أهمها : المروءة والأنفة والإباء والترفع عن الصغائر ، وحرصهم علىٰ البِرِّ والاهتمام بالضعفاء والمحتاجين ، فهم يمتلكون صفات ثورية خاصة.

فالصعاليك طائفة حاولت القضاء علىٰ الفقر والجوع والتسول بصورة تتمثل في جماعات تمارس الاتحاد والاعتصام والمقاومة، وممارسة الكدّية، والاحتيال قصد الإيقاع بالآخرين من أجل الحصول علىٰ المال، أو الحب أو لقمة العيش لمجتمعهم، وكأن هؤلاء الصعاليك يبحثون عن المدينة الفاضلة في ديستوبيا مجتمعٍ فاسدٍ، مُخيفٍ مُرعبٍ غير مرغوب فيه، تحكمه العنصريةُ، بطريقة ما في واقع مرير.

كل ذلك يحمل مدىٰ إقبال النفس البشرية علىٰ الخير واستحسانها له، وقَضاء حوائج النَّاسِ، وسَدّ الفقر والفاقة.

أَهْدَافُ البَحْثِ:

يَهدُفُ هذا العملُ إلىٰ الكَشفِ عن حركات العالم المثالي (اليوتوبيا)، والعالم غير المثالي (الديستوبيا) داخل طوائف المجتمع الجاهلي وشعرائه ؛ ليظهر ما

يحمله الأدبُ العربي القديم من نظريات واتجاهات معاصرة ، لردِّ مكايد خصومه ، وتسليط الضوء علىٰ أحد الجوانب الكامنة فيه ،كما يَهدُفُ إلىٰ التَّعرُّفُ علىٰ بعض الملامح النسبية لهؤلاء الصعاليك، واستظهار أوجه التميز الأخلاقي لديهم.

مَنْهَجِيَّةُ البَحْثِ:

ينتمي البحثُ إلىٰ حَقل الدراسة التاريخية التحليلية، فاعتمدتُ علىٰ المنهج التاريخي في تسليط الضوء علىٰ أصول الظاهرة لبيان الجوانب الكامنة في أدبنا العربي القديم، كما اعتمدتُ علىٰ المنهج الفني لملاءمته لطبيعة موضوع الدراسة أيضا .

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

لم أجد – بعد الاطلاع والبحث –من تناول هذه الظاهرة في شعر الجاهلي خاصة أو الشعر القديم عامة، والله أعلىٰ وأعلم.

خُطَّةُ البَحْثِ:

وللوقوف علىٰ حقيقة اليوتوبيا ولتجلية هذا الاتجاه الفني الجديد، احتوىٰ هذا العمل علىٰ خمسة مباحث، تسبقها مقدمة وتلحق بها خاتمة جاءت علىٰ هذا النحو:

ففي المقدمة بينت دوافع الوقوف أمام هذه الظاهرة، وهدفي من الإسهام في الكشف عنها.

وفي المبحث الأول: عرضتُ مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا .

وفي المبحث الثاني : تناولت تأصيل ظاهرة اليوتوبيا.

وفي المبحث الثالث : ذكرت حركات يوتوبية .. لطوائف العصر الجاهلي وشعرائه .

وفي المبحث الرابع : رصدت اليوتوبيا في شعر الصعاليك.

وفي المبحث الخامس : كان عهد النبوة .

وفي الخاتمة: أشرت إلىٰ النتائج التي توصلت إليها ، وإلىٰ التوصيات التي يجب أخذها في الاعتبار .

والله تعالىٰ أسأل أن أكون قد وفقت فيما عرضت .

فهو حسبي ونعم الوكيل .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: مَفهوم اليوتوبيَا والدِّيستُوبيَا

إنَّ مفهومَ اليوتوبيا والديستوبيا[1] بات مألوفًا في هذا العصر ، ولكن لا نعرف المعنىٰ الدقيقَ له قديمًا ، فلقد ترادفت وتضادت في استخدمه الكلماتُ لوصف كل ما هو ممكن ، أو كل ما هو غير مقبول علىٰ مر العصور ، ظهر هذان المصطلحان وازدهرا في القرن السادس عشر ؛ ليعبرا عن منظومة اجتماعية جديدة وحياة مثالية فاضلة ، ويظهران مدىٰ التطور الذي خضعت له حياة الشعوب علىٰ مَرِّ القُرون .

ويتناول هذا المبحث مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كوسيلة للفكر السياسي والاجتماعي ، ووسيلة أدبية من أجل التوصل إلىٰ معنىٰ دقيق لهذين المصطلحين .

١ – المِحْوَرُ الأَوَّلُ : مَفهومُ (اليُوتُوبيَا Utopia)

لقد مر مصطلح اليوتوبيا بطورين ، الطور الأول كانت تعني اليوتوبيا فيه المعنىٰ البعيد أو (الأَوَّلِي) : تعني مجتمعًا مثاليًا خياليًا لسعادة الإنسان الخالية من النقائص البشرية .. فاتَّخذها أفلاطون رمزاً لمدينته الفاضلة أي الخالية من العيوب والنقائص.

فهي " حركة لا نهائية تجاه هدف لا يمكن إحرازه" [2].

ويقول الدكتور اللامي :" وغدا المفهوم الشائع لكلمة يوتوبيا يطلق علىٰ نموذج لمجتمع خيالي ، يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه ، ويتحرر من الشرور التي تعاني منها البشرية "[3].

وهذا يؤكد أن اليوتوبيا كانت فكرة من الصعب تحقيقها ، ومن المستحيل بناء عالمٍ علىٰ المثل والفضائل ، فلقد " طرح هور كهايمر فكرة (الأخروية) وتعني

العلاقة مع ما هو خارج عن العقل والمذاهب ، أي التعلق بالدين أو اليوتوبيا التي تولد الوعي إلىٰ الحرية بالرغم من يقين العقل بأنه لا حل لمشكلة الحرية علىٰ صعيد التنظيم الاجتماعي السياسي "[٤].

كذلك استعمل جميل صَليبَا وعبد المنعم الحفني كلمة يوتوبيا كمقابل للكلمة الإنجليزية Utopia والفرنسية Utopie عن الأصل اللاتيني Utopia ، وإن كان المعجم الفلسفي لصليبا يضع مقابلها بالعربية كلمة (طوباوية) ، نسبة لطوبىٰ وهي الجنة ، وكذلك الموسوعة الفلسفية للحفني ، سوىٰ أن الأخير يضع لفظة (طوباوية) كمقابل لكلمة Utopianism .

فيقول الحفني : هي " اتجاه مثالي ، بمعنىٰ خيالي، حيث يشتق من Utopia الإغريقية ، بمعنىٰ المكان المتخيَّل الذي لا وجود له علىٰ أي أرض " [٥].

ويقول جَمِيل صَليبَا : الطوباوية " لفظ معرَّب أصله (أُو طوبيا) أو (يُوطوبيا)، وهو مؤلف من لفظين يونانيين : طوبوس (Topos) ومعناه المكان ، و:(أُو : OU) ومعناه ليس، فمعنىٰ (اليوطوبيا) إذن ما ليس في مكان، وهو الخيالي أو المثالي ، وأول من استعمل هذا اللفظ (طوماس موروسThomas Morus) في كتابه(De optimo republicae statu deque nova insua Utopia) ، وهو يصوِّر مدينة خيالية ذات نُظم مثالية ، تضمن لأفرادها أسباب الخير والسعادة ، ثم أطلق هذا اللفظ – بعد ذلك – **علىٰ كل ما يصوِّر النظام المثالي للمجتمع الإنساني** "[٦].

ومن هنا بدأ **الطور الثاني للمصطلح** ، فأصبح يطلق علىٰ ما يمكن تصوُّره ، فتحول من الخيال إلىٰ الواقع ، ثم أصبحت الكلمة تستخدمُ لوصفِ كلِ عملٍ

أدبي أو فلسفي يتعلقُ بالمثالية ، فظهرت قصص وروايات لها طابع يوتوپىٰ ، ولاسيما يوتوبيا الروايات ذات الطابع الاجتماعي خِصِّيصـًا .

فكلا المرجعين السابقين يقدمان تعريفا لليوتوبيا يدور حول هذه العناصر الآتية:

- ❖ وضع اللفظ العربي " طوباوية " مقابل للفظ الأجنبي(Utopia).
- ❖ الطوباوية تطلق علىٰ المثالي ، الذي لا يحتويه مكان علىٰ الأرض .
- ❖ يطلق وصف الطوباوية علىٰ كل أجناس الكتابات التي تصف الأنظمة المثالية التي ينبغي أن يعيشها المجتمع .

لذلك " يرىٰ البعض أن المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) ممكنة الوجود ، وأنه يمكن للناس أن تعيش في مدينة فاضلة، لكنها ليست بالمواصفات التي وصفتها كِتابات الفلاسفة والتي تصل من وجهة نظرهم إلىٰ تصوُّر مثالي للغاية لا يمكن للبشر بلوغه "[٧].

وبدأت اليوتوبيا تقترب من أرض الواقع رُويداً ، فتُعرِّفها الكاتبةُ خلال حديثها عن كتاب (اليوتوبيا) ، فتقول : " إنه يتحدث عن مكان يجمع بين الواقع والخيال ، وعن عالم لا يعرف الخوف ، حيث يمكن استخدام الاختراعات الجديدة لمصلحة الفرد والمجتمع ، وباختصار هو وَعْدٌ بِالفِردَوْسِ ... ولكن يمكن الوصول إلىٰ هذه الفردوس ونحن أحياء علىٰ هذه الأرض"[٨].

ويعرفها الكاتب(LESJEK KOLAKOWSKI) بأنها :" الاعتقاد بمجتمع يتصف ليس فقط باستبعاد مصادر الشر والصراع والعدوان ، إنما تتحقق فيه مصالحة تامة بين ما هو عليه الإنسان ، ماذا سيصبح ، ما يحيط به "[٩].

حاول كتير من العلماء صبَّ اليوتوبيا علىٰ أرض الواقع وتفعيلها حقيقةً لا حلمـًا ولا خيالاً ، لأن "طبيعة الإنسانية واليوتوبيا اقترنتا في كثير من الأحوال مع

بعضها البعض ، وعندما عرف التاريخ العديد من اليوتوبيات ، فإن المعنيِّين بدراستها يدركون أن جوهرها يقوم علىٰ تصور إمكانية تغيير المجتمعات ، استناداً إلىٰ مُثُل عُليا يؤمن بها الناس بحماسة وإخلاص ، مما يؤدي إلىٰ إيجاد العالم السعيد ، والحر ، والعادل ، والمتناسق ، لقد كان هذا التصور موجوداً في صميم الفكر السياسي اليوناني ، وما زال الكثيرون يؤمنون به إلىٰ يومنا هذا " [١٠].

ومما جعل اليوتوبيا حلما وخيالاً أن العالم لا يسعي إلىٰ تحقيقها ، فما زالت أفكاره قاصرة علىٰ هيمنة السلطة ، والمقاومة ، والمادة ، والمركزية ، والتحدي ، والحرب ، والدمار ، وردع ما يتمرد علىٰ نواميس السياسة ، يقول أوسكار وايلد :" إن خريطة العالم لا تحتوي علىٰ يوتوبيا ، لا تستحق حتىٰ مجرد النظر إليها .... إن التقدم هو تحقيق اليوتوبيا في الواقع "[١١].

ويطلق لفظ الطوباوية – أيضا- علىٰ المثل العليا السياسية والاجتماعية التي يتعذر تحقيقها لعدم بنائها علىٰ الواقع ، أو لبعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته ، من هذه المثل العليا : فكرة السلام العام ، وفكرة التقدم المستمر ، وفكرة المساواة الطبيعية ..وغيرها ، ومع أننا نرىٰ أن كثيراً من رؤىٰ الشعراء والعلماء الفلاسفة تنقلب بعد مدة من الزمان إلىٰ حقائق واقعية[١٢].

ويرىٰ كيث بوكر Keith Booker : أنَّ الفرد عندما يفقد القدرة علىٰ التفكير التاريخي، فإنه يفقد القدرة علىٰ التفكير اليوتوبي ، وضعف اليوتوبيا يعني الضعف في تخيل الحصول علىٰ مجتمع مثالي في المستقبل ، فالتفكير اليوتوبي يتطلب أمرين: **نقد الوضع الراهن ، وتقديم بديل يحل محل الوضع الراهن في المستقبل** ، لذا يرىٰ بوكر – مستندا علىٰ أطروحات فريدرك

جيمسون-أن أدبَ ما بعد الحداثة لم ينتقد الوضع الراهن ، ولم يقدم بديلاً عملياً يساعد الناس علىٰ الحصول علىٰ حياة أفضل في المستقبل[١٣].

كل هذا يؤكد مرور لفظ اليوتوبيا بطورين ، حيث بدأ حلماً خيالياً لا يمكن حدوثه ، ثم أصبح حقيقة ممكنة الحدوث علىٰ أرض الواقع .

*** *** ***

٢- المِحْوَرُ الثَّانِي: مَفْهُومُ (الدِّيستُوبيَا Dystopia)

الديستوبيا وهي الضدُّ من اليوتوبيا ، فهي المدينة الفاسدة التي ترزخ تحت الفقر والجوع والظلم ، عُرِفَ هذا المصطلح عند الكاتب " جورج أورويل "في روايته الموسومة بـ (١٩٨٤) ، وكُتِبَتْ رواياتٌ عديدةٌ في هذا الموضوع ، منها : ألعاب الجوع Hunger Game) لـ سوزان كولبنز ، ورواية (المضيف Thehost) لـ ستيفاني ماير ... وغيرها من الروايات[١٤].

وهنا نتساءل .. هل هناك فرق بين اليوتوبيا والديستوبيا والأيديولوجيا ؟!.

١- توصَّل (سيبرياني) إلىٰ أنَّ هناك تَعَارُضاً بين المفهومين ، فالأيديولوجيا تميل إلىٰ إضافة الشرعية علىٰ الوضع الراهن ، في حين أن اليوتوبيا هي أكثر ابتكاراً ونقداً ، وتهدف إلىٰ التغيير والتغلب علىٰ ما هو قائم [١٥].

٢- ويرىٰ (مانهايم) أن الفارق الأساسي الذي يَرسُم التخوم بين الأيديولوجيا واليوتوبيا هو مسألة التغيير ، لأن الإيديولوجيا في كثير من الأحيان تكون مصدر اللباثولوجيا الاجتماعية والتصلّبات السياسية والانغلاقات الدينية والانزلاقات التاريخية ، هنا تتدخَّل اليوتوبيا لتُغيِّر الوضع السائد نحو طريق بعيد عن الأسباب المؤدِّية إلىٰ اختلالات النظام الاجتماعي [١٦].

فمانهايم يرىٰ أن الإيديولوجيا واليوتوبيا شكلان من أشكال عدم التَّطابق ، ويضع نقاط أفضلية لليوتوبيا في التعارض مع الواقع الراهن الذي تؤيده الإيديولوجيا .

وهذا يؤكد أن الإيديولوجيا صورة للسياسة المستخدمة والوضع الاجتماعي القائم دون دعوة منها للتغيير أو التحوُّل ، أو تقديم نقد أو حلول لها ، وهي تشبه الديستوبيا في هذا الجانب ، ولكن يبدو مما سبق أن الإيديولوجيا تكون مؤيدة للوضع الراهن والقانون السائد مدافعة عنهما ، بخلاف الديستوبيا فهي تصف المسالب دون تأييد أو دفاع ، أما اليوتوبيا فهي الارتحال إلىٰ المستقبل والدعوة إلىٰ التغيير والثورة والنقد ، محاولة بناء مجتمع مُتوهِّج وعالم مستنير يزخر بالقيم والمثل والفضائل لا نقول الخيالية ولكن القيم المنشودة التي يمكن تحقيقها ولو بقدر قليل أو إلىٰ حد مقبول .....فهذا يؤكد أن الديستوبيا ضد اليوتوبيا .. والإيديولوجيا تتعارض مع اليوتوبيا ، وإن كانت قريبة الشبه بالديستوبيا..

*** *** ***

المَبْحَثُ الثَّانِي: تأصِيلُ ظَاهِرَةِ اليُوتُوبِيَا

انشغل كثير من الفلاسفة المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء – منذ أقدم العصور والأزمنة – بالبحث عن المدنية الفاضلة ، والحلم باليوتوبيا التي تحمل من الفضائل والمثل العليا مالم يحمله الواقع ، لتعيش فيها الإنسانية والبشرية آمنةً مطمئنةً ، متجاوزةً واقعها المؤلم المأساوي الدموي ، حالمةً بحياة تملؤها السعادة ، وبيئة أفضل ، ومجتمع أكثر عدالة مساواة يفيض بالحب والرحمة والكرامة....ولقد حفل التراث القديم بنماذج عديدة لهؤلاء الباحثين عن اليوتوبيا الحقيقية ، وكان للفلاسفة الحظ الوافر والنصيب الأكبر فيها .

أولاً : المِحْوَرُ الأوَّلُ : تَأصِيلُ الظَّاهِرَةِ فِي الاتِّجَاهِ الغَرْبِيِّ :

ذخر تاريخ البشرية بعدد من الفلاسفة الذين أثروا العالم بأفكارهم المستنيرة ، وأطروحاتهم النيّرة ، فالماضي بصورته البدائية – يراه الفلاسفة– هو الصورة المثالية للحياة ، فرسموا المدينة الفاضلة في صورة مثالية لا يمكن للبشر تحقيقها.

ولقد مرت اليوتوبيا في الاتجاه الغربي بأطوار عدة ، جاءت علىٰ النحو التالي:

١- **الطور الأول: عهد أفلاطون** (ولد٤٢٧- ت ٣٤٧ ق.م)، وكتابه (الجمهورية أو المدينة الفاضلة) ،كانت بداية الفكرة عند أفلاطون البحث عن عالم خالٍ من الصراع ، يسوده العدل ، فأعدَّ كتابه (الجمهورية) في صورة محاورة تاريخية ، عبارة عن دراما فلسفية حقيقية ، تقوم أفكارها حول (المدينة الفاضلة) علىٰ لسان الشخصية الرئيسة فيها (معلمه سقراط) في صورة حيَّة ، ولقد اعتمد علىٰ طريقة الحوار ، لأنه يرىٰ أن الحوار هو طريق اكتشاف الحقيقة ، وكانت هذه المحاورات تُقرأ بصوتٍ عالٍ ولا تُمثَّل ، وكان السامعون يجدون

فيها لذة ومتعة ، تدور المدينة الفاضلة (حلم الفلاسفة) بل الحلم الأعظم للناس في كل مكان بل ولا تزال ، حتىٰ أصبح مصطلح (المدينة الفاضلة) همَّ الفلاسفة الأوَّل ، ومحور بحثهم المضني عن سُبل تحول هذا الحلم إلىٰ حقيقة ، حتىٰ ولو بدا الأمر وكأنه صعب المنال أو أقرب إلىٰ الحلم المستحيل .

تناول الكِتاب مناقشة قضايا تخصُّ الدول والمجتمعات الشرقية والغربية منذ فجر التاريخ الإنساني وحتىٰ يومنا هذا ، يناقش أفلاطون في بداية الكتاب فكرة العدالة ، وكيف نبني دولة عادلة أو أفراد يحبون العدالة ، ويقدِّمُ سقراطُ في المحاورات داخل الكتاب تعريفاً للعادل وهو الحكيم والصالح ، وأن المُتعدِّي هو الشرير والجاهل ، ويشبِّه أجزاء الدولة بأجزاء الإنسان ، فالدولة تنقسم إلىٰ (طبقة الحكام – وطبقة الجيش – وطبقة الصناع والعمال)، وينقسم الإنسان إلىٰ (الرأس وفيه العقل ، وفضيلته هي الحكمة – والقلب وفيه العاطفة ، وفضيلته هي الشجاعة – والبطن وفيه الشهوات ، وفضيلته هي الاعتدال) ، والدولة العادلة هي التي يقوم كل فرد فيها بالعمل الخاص بطبيعته : الحاكم يحكم ، الجندي يحمي ، العامل يشتغل ، ... وهكذا تكون فكرة العدالة في النفس البشرية والعدالة الاجتماعية هي جزء من هذه العدالة الداخلية .. ثم يتحدث أفلاطون عن الطمع وحب المزيد من الترف ، والتجارة وازدهار الدولة ، وزمن الديمقراطية ، ومبدأها الأساسي هو تساوي كل الناس في المنصب وتعيين الخطة السياسية العامة للدولة ، وتحدث عن الاستبداد ، والعلم ، والدمار الذي يحل بالدولة ، وصناعة القادة والحكام من غير خداع ، وحب المال والسلطان ،

وإرادة إصلاح المجتمع ، فهو يطمع في مدينة فاضلة يسودها التآلف ، ويسيطر عليها الوئام[١٧].

أجاد أفلاطون في جمهوريته ، تلك الجمهورية الخالدة التي جعلت من موضوعات (الحب والعدل والجمال) محورها الأساسي ، وحفلت الجمهورية أيضـًا بتشكيل عالم أفلاطون الخيالي الذي لا يزال ملهمـًا للبشرية في سعيها نحو العدالة والإخاء والحق ، لقد كان الوضع المضطرب الذي عرفته (أثينا) في القرن الرابع قبل الميلاد ، هو الذي دفع أفلاطون لكتابة مؤلفه الجمهورية .

وكانت المدينة الفاضلة لأفلاطون هي الشرارة الأولىٰ أو القشة التي قسمت ظهر البعير ، فراح العلماء يلملمون حولها ويبحثون عن هذا الصنيع الجديد ، وعن كل ما هو مولود في هذه الحياة الفاضلة الجديدة .

٢-**الطور الثاني : القِدِّيس أَوْغُسْطِينُس** (٣٥٤ – ٣٤٠ م) كان يحيا في عصور انحطاط الدولة الرومانية[١٨]، ظهر مؤلفه الموسوم بـ (مدينة الله)، الذي صاغه ليكون مثالاً ثانيا يقتدي به المفكرون[١٩] .

يناقش القديس في بداية الكتاب فكرة الخير والشر وكيف يمكن أن تكون علىٰ السواء من نصيب الصالحين والأشرار ، ولكن المهم لا يكمن في تلقي الخير والشر بل في كيفية استعمال هذا أو ذاك ، إن مدينة الله المجيدة (يعني روما) سواء أكانت تتابع حجَّتها لتعيش إيمانها بين الأمم أم استقرت في الأبدية التي تتوق إليها بصبرٍ حتىٰ يعود القضاء إلىٰ العدل ، والذي ستظفر به أخيراً هذه المدينة بسلامٍ تام ، ثم تحدث – بعد العدل – عن التكبر والمتكبرين وما للتواضع من سلطان يرفعنا فوق العالم ، وأن الله تعالىٰ يقاوم المتكبرين ويهب المتواضعين نعمته ، ويقول في خلاصة قوله " إن الله تعالىٰ يغفر للمنسحقين

ويحطم المتكبرين"، وتحدث عن مدينة الأرض سيدة الشعوب المستعبدة التي سوف تكون بدورها أسيرة شهوة التسلط[٢٠].

كتب القديس كُتابه (مدينة الله) وهو متقوقع في غرفته ليصور روما علىٰ أنها هي المدينة الفاضلة[٢١].

٣- **الطور الثالث** : **تُومَاس مور** (١٤٨٧م- ١٥٣٥م) ، فبعد المدينة التي ظهرت علىٰ يد القديس ، " كانت اليوتوبيا التي اشتهر بها المفكر (توماس مور) ، حيث صاغ هذا المفكر كلمة اليوتوبيا من كلمتين يونانيتين ، هما (UO ومعناها :لا) و (Topos ومعناها : مكان) ، بحيث تعني الكلمتان معا (Uotopos): اللامكان أو الطيب ... واختلف اللغويون والنقاد في تحديد مدلول الجزء الأول من هذه الكلمة ، وهل المقصود بها (اللاموجود أم الطيب أم المثالي)، وقد انتهىٰ البعض إلىٰ أنَّ العالم المثالي يكاد يكون فعلا عديم الوجود ، فلابد إذن أن كلمة يوتوبيا تحوي المعنيين معا دون أن يخل أحدهما بالآخر "[٢٢].

وكان ظهور مصطلح اليوتوبيا مقترنا بظهور توماس مور ، ولكنه كان يعني في بداية الأمر المثالية الاجتماعية والتربوية :" ارتحل خيال السير توماس مور إلىٰ جزيرة مثالية متخيلة أسس فيها نظامًا اجتماعيًا تربويًا يكفل السعادة والوئام للجميع "[٢٣].

"ولعل توماس مور الذي كتب كتابه المدينة الخيالية (يوتوبيا) بعد أن مارس السياسة وزيراً للملك هنري الثامن – وكان ملكًا مُستبداً –، يعالج فيه كثيرا من

المشكلات الاقتصادية ، ويدعو إلىٰ الإصلاح في اقتراحات عملية ، وربما لهذه الأسباب أعدَمَه الملكُ هنري الثامن "[٢٤].

تُرجم كتاب " يوتوبيا " لتوماس مور إلىٰ الكثير من لغات العالم ، ترجم إلىٰ الفرنسية والإيطالية والألمانية الروسية واليابانية وأخيراً إلىٰ اللغة العربية ، له أهمية كبيرة كعمل أدبي فلسفي اجتماعي سياسي ، صاغ توماس كلمة " يوتوبيا " لتكون اسم علم لجزيرته المثالية ، وتعد يوتوبيا توماس من أكثر الأعمال شهرة وذيوعا ؛ لتقديم صورة متكاملة لعالم مثالي ، تختفي فيه شرور عالم الواقع ، وتتحقق فيه أحلام الإنسانية بالسعادة الكافية والعدل ، وذلك في قالب روائي جذاب ، وهذه سمة ميَّزت يوتوبيا توماس بـ(شكلها الأدبي الروائي) الذي قدم به توماس عالمه المثالي من ناحية ، وارتباطها بعالم الواقع ومشاكله ارتباطا وثيقا من ناحية أخرىٰ ، عن طريق الموازنة وإبراز أوجه الشبه والخلاف ، ومما يميِّزها أيضا ارتباطها بأحلام الإنسان وبواقعه علىٰ حد سواء، فإن ما تعالجه من قضايا سياسية واجتماعية ليست وقفًا علىٰ عصر معين أو مكان بالذات، ولكنها قضايا إنسانية عامة تتخذ أشكالاً مختلفة في العصور المتعاقبة وتحت الظروف المتغيرة ، ولكنها واحدة في جوهرها ، ومن هنا ظلت يوتوبيا توماس عملاً حيًّا خالداً ، ووثيقة تاريخية من وثائق الحركة الإنسانية (Humanism) وتُعدُّ – كما يقول النقاد – مقدمة لعصر النهضة الذي شهد مولد تلك الحركة ، عكس توماس في مقدمة كتابه الحكومة المُثلىٰ للدولة أو النظام المثالي للمجتمع ، قسَّم الكتاب إلىٰ محورين أساسيين ، الأول : تحدث فيه عن العدل ، والسلام ، واشتراكية الحياة ، واحتقر الحرب والظلم والجشع ، والثاني : وصف فيه نواحي

الحياة في الجيرة المثالية ، والسكان ، والحكام ، والأخلاق ، والزواج ، وختمه بالحديث عن الأديان [٢٥].

٤- **الطور الرابع: فرانسيس بيكون** (١٥٦١م- ١٦٢٦م)، وبعد يوتوبيا توماس ظهرت (أطلطنا الجديدة) لمؤسسها التجريبي فرانسيس بيكون ، وصدرت محاولته هذه عن فلسفته التجريبية ، فلم يَبْنِ مدينته علىٰ المثال الأخلاقي ، وإنما أقامها علىٰ العمل ، وجعل حُكمها للعلماء[٢٦].

وقال الدكتور العبودي : قامت مدينة أطلنطا الجديدة علىٰ عاتق التشريعات الاجتماعية أو الإصلاحات الدينية بنشر المعرفة علىٰ أساس من الفضائل الدينية والأخلاقية ؛ ليجعلوا منها قوة من المُثُل العليا والأخلاق[٢٧].

٥- **الطور الخامس : توماس كامبنيلا** (١٥٦٨- ١٦٣٤ م) ، القِس الإيطالي، الشاعر المعروف ، وكتابه (مدينة الشمس- The City Of Sun)، الذي جعل العمل الجبري أساسًا في مدينته ، والنبلاء هم العملاء ، وجعل حُكمها للفلاسفة[٢٨].

حيث إنّ الظروف القاسية التي ألف من خلالها الكتاب، فضلاً عن خلفيته الاجتماعية وتكوينه ووظيفته الدينية ، مكَّنته من إنتاج عمل مختلف عن توماس مور، الشيء الذي أسهم في إغناء التنوع الأدبي الطوبوي بعدة أوجه فنية من الناحية الأدبية.

وعلىٰ الرغم من أنّ كامبنيلا كتب في العديد من الميادين الفلسفية ، إلا أنّ أكثر أعماله شهرة، هو« مدينة الشمس » ، حيث يصف من خلاله – عن طريق حوار شيق بين البحار والفارس – الحياة في هذه المدينة ، التي تخضع لقوانين

وأنساق ليس لها نظير علىٰ الكرة الأرضية ، ومن ثَمَّ فهي تُحققُ التَّصوُّرَ الذي يتخيله كامبنيلا لمدينته الفاضلة والمجتمع المثالي الذي يستحقُ أن يحملَ رايةَ توحيدِ العالمِ[٢٩].

صاغ كامبنيلا كتابه علىٰ شكل حوار ثنائي، بين الفارس الكبير **هوسبيتالر** وقبطان سفينة من **جنوا** ، حيث يبدأ الفارس الحديث بسؤال يوجهه إلىٰ البحار يقول فيه : « من فضلك ، حدثني عن كل خصوصيات هذه الرحلة »؟ ، وقبل الشروع في الإجابة ، يحاول البحار إضفاء نوع من التشويق ، حيث يحدثه عن رَسْوِ سَفينَتِهِ الاضطراري جنوب الإكوادور، ومحاولته الهرب والاختباء بين الأشجار، وكيف وجده مجموعة من الرجال والنساء المسلحات، فاقتادوه إلىٰ « مدينة الشمس »، وهي المدينة التي سيبدأ بسرد تفاصيل الحياة عليها[٣٠].

وتتميز الحياة في المدينة الخيالية لكامبنيلا بالحب والسعادة والوئام والتكافل، حيث كلّ شيء بداخلها يسير بطريقة مثاليّة ، وحيث تختفي أيضًا النزعات الأنانية أو حبّ التملّك، بل الجميع متوافق علىٰ نبذ مصلحته الخاصّة في سبيل المصلحة العامّة ، ويسمح بالموسيقىٰ فقط للنساء وفي بعض الأحيان للأطفال، ومن مظاهر الحياة أيضًا علىٰ« مدينة الشمس »، هو أنّ الشباب ملزمون بخدمة من تجاوزت أعمارهم الأربعين سنة ، ضمن الأعمال التي يقومون بها في الورش وأماكن العمل ، كما يحظر إحداث أي ضوضاء في الأوقات المخصصة لوجبات الطعام[٣١].

وتؤكّد قراءة كتاب كامبنيلا ، خاصة شكل النظام داخلها ، وتصميم المدينة، اعتماده علىٰ النظام التراتبي للكون والموجودات، حيث إنّ هذا النظام ساد في العصور الوسطىٰ، وكان العلم الأساسي فيها هو علم التنجيم ، فالشمس حسب

اعتقاده الفلسفي هي «الله» ، والكواكب السيارة التي هي بمثابة قادة الحياة الاجتماعية ، بل إنّ الدولة الشمس تقيم موظفين يحددون ، حسب وضعية النجوم ، الحياة الشخصية للأفراد حيث إنّ الحرية الفردية لا مكان لها في المدينة .(٣٢)

وتبدو جليّةً المكانة الرفيعة التي أعطاها كامبنيلا للكهنة ورجال الدين في مدينته الفاضلة ، وهو بذلك يبرز دورهم المحوري في صقل القيم والأخلاق والفضيلة للسكان ، فدورهم لا يمثل فقط الوساطة الروحية ، بل يتعداها إلىٰ وساطة سياسية واجتماعية تعمل علىٰ نقل تلك القيم والحرص علىٰ تتبع معاني الفضيلة.

إن أصحاب المدن الفاضلة كتبوا كتبهم من خلال نطاق حضارتهم ، فأفلاطون كتب من خلال ارتباطه بالحضارة اليونانية ، وما كان بمدينة أثينا من اضطرابات ، والقديس أوغسطينس عنده أن روما هي مدينة الله ، وتوماس مور تعليماته كانت موجهة للإنجليز ، فجاءت أعمالهم من واقع اجتماعي حي.

٦- الطور السادس : عصر النهضة

ومن الأطوار السابقة يتضح أن اليوتوبيات لم تتجه نحوًا معينـًا أو اتجاهـًا موحداً ، ولم تعتمد أسلوبـًا واحداً ، بل كان للحوار والرواية دور ، وللفلسفة والمنطق دور آخر ، كما عالجت كل قضايا الإنسانية للبحث عن حياة مثالية فاضلة ، لذا اقترحوا كافة الوسائل لتحقيقها « فأفلاطون في كتابة (الجمهورية) اختار حلاً سياسيـًا ، واختار القديس أوغسطينس حلاً دينيـًا ، أما توماس مور وفرانسيس بيكون فقد اتجها نحو القانون والنظام ، واتجه اليوتوبيون من مدرسة

(روسو) في القرن الثامن العشر إلىٰ الإصلاح الفطري في الإنسان ، وبحث كُتَّابُ اليوتوبيا في القرن التاسع عشر عن الحلول الاقتصادية ، وفي القرن العشرين ظهر ما يدعىٰ باليوتوبيات السلوكية التي تناقش فيها سلسلة كاملة من الظروف والطوارئ الاجتماعية ، وأكد فلاسفة اليسار الجديد ومفكروه علىٰ قيمة اليوتوبيا الاجتماعية التي تعكس إرادة التغيير التي تنفض الأحلام والأوهام ، وتفضي إلىٰ الثورة الاشتراكية ، وتحمل صفة العمل وفق الخط الاشتراكي للتطور من أجل التغيير العقلاني»[٣٣].

يتضح من النصوص السابقة أن اليوتوبيا غطت جميع الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والدينية ، وكان يعنيها في المقام الأول الاتجاه السياسي الاجتماعي الذي يعكس إرادة التغيير دون انتظار للأحلام المثالية المؤجَّلة والأوهام البعيدة بل الثورة التي تفضي إلىٰ الخروج من أجل تحقيق التغيير، « لقد حدثت في تاريخ الإنسانية ثورات متعددة أتت كحل للصراعات والاستلابات التي واجهها الإنسان تجاه مختلف القوىٰ » [٣٤].

لذلك حاول « ه . ج. ويلز » في روايته المسماة (آلة الزمن) ترسيخ قضية التحول ، فالعقل الذي يتطابق تمامًا مع بيئته يعود آلة ليس إلا ، فحاجة الإنسان للارتقاء وإلىٰ التطور هي الدافع للتطور ، والحاجة للتحول هي الباعث علىٰ الحول[٣٥].

*** *** ***

ثَانِياً : المِحْوَرُ الثَّانِي : تَأصِيلُ الظَّاهِرَةِ عِنْدَ العَرَبِ :

إن من يتجشم عناء قراءة ظاهرة اليوتوبيا وتوابعها من ديستوبيا ومعاداة اليوتوبيا والأيديولوجيا قراءةً تروم التحليل والنقد ، سيجد نفسه – لا محالة – أمام غموض أسطوري وخيالي يحتضن طقوسا وشعائر أفرزتها افتراضيات يتزايد أتباعها يوما تلو الآخر .

ولا ننكر « أن اليوتوبيا في نظر الكثيرين ، وإن كانت أحلامًا أو أفكاراً وخيالات ، إلا أنها في كثير من الحالات عبَّرت عن رغبة في تغيير الواقع القائم وتجاوزه ، والحلم بحياة ومجتمع أفضل وأكثر عدلاً مما هو سائد»[٣٦].

لقد حفل تراثنا العربي بالعديد من النماذج اليوتوبية ، وكان للفلاسفة العرب والمسلمين الحظ الوافر فيها ، كما مرت اليوتوبيا في التاريخ العرب بعدة مراحل، ولقد تجلَّت في هذه الأطوار:

١- **الطور الأول : وهب بن مُنبَّه (ت ١١٤ ه)** ، في كتابه (التِّيجان في ملوك حِمْيَر) ، وما ذكره عن ذي القرنين ، من الرؤىٰ والخيالات العجيبة التي يراها ذو القرنين أو ما ذكره عن أرض الملائكة ...أو أرض قرطبيل ، إذ أنها أشبه بالمدينة الفاضلة التي نادىٰ بها كبار الفلاسفة.

وفي هذا الكتاب جاء « ... فلما أتاهم ذو القرنين وجدهم بقرطبيل ، وهم من بني عرجان بن يافث بن نوح ، وجدهم قد سكنوا ...، ووجدهم لا غني فيهم ولا فقير ، ولا قاضٍ فيهم ولا أمير ، ولا ناهٍ فيهم ولا آمر ، ورأىٰ مواشيهم بلا رعاة ، ورآهم بين النهار في خلاء من الأرض وقفار ، واستغنوا منها باليسير عن الكثير"[٣٧].

تناول في (التيجان ، أي الملوك) حديثا مطولاً ، بدأه بأحوال خلق العالم ، وملك حمير وائل بن حمير ، وأتم كتابه بالحديث عن تاريخ الكامل لابن الأثير ، ذكر فيه أحوال كل ملك ، واسمه ، ورحلاته ، وولايته ، وقصَّ عنه روايات رواها ابن وهب ، وأشعار نادرة قد لا تجدها عند غيره [٣٨].

ولكن الكتاب جاء ضيق الخيال ، ضعيف الفن والصورة ، مألوف السرد والفكر والحكاية ، ربما لا يفد كبير فائدة لقارئ الأدب أو شيئا جديدا ذا غناء أدبي فريد – غير ما ذكرت من مجموعة شعرية نادرة الوجود – ولعلنا نكون أشد إنصافاً للكتاب حين نذكر أنه قصد إلىٰ التأريخ والسِّير قبل أن يقصد الخيال أو الفن أو الأدب .

٢- **الطور الثاني : الفَارَابي فيلسوف العرب (٣٣٩ ه)**، كان من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين ألفوا في هذا الميدان ، وهو من أعظم الفلاسفة العرب القدماء دون منازع ، وكانت أعماله هي الشرارة الأولىٰ التي أشعلت جميع المسائل والأفكار الفلسفية في العالم العربي الإسلامي حتي اليوم ، ويعدُّ كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) – من أهم مؤلفاته –، ولا ينكر أحد أنه تأثر بكتاب أفلاطون (المدينة الفاضلة) فألَّفه علىٰ غراره ؛ إلا أنه وظَّف المفهوم الأفلاطوني في سياق إسلامي بحت ، عاش في زمن تدهور الدولة العباسية ومراحل الضعف التي حلت بها سياسياً وإداريا واقتصاديا ، لذلك لجأ للبحث عن السعادة في الكتابة لطرحها علىٰ أرض الواقع المرير .

فهو « لم يمارس الإدارة ولا السياسة عمليا ، بل إنه اقترح آراءه الفلسفية لمدينة فاضلة ، وهو منعزل في بستان قرب مدينة حلب » [٣٩].

« وفي اليوتوبيا الدينية لا مكان للسمة الإقليمية ولا الهوية الثقافية ، وينقلب الدين علىٰ الثقافة المحيطة التي لم يعد ينظر إليها بوصفها مجرد ثقافة دنيوية بل تعتبر ثقافة دينية ، وفي اليوتوبيا الدينية السلوك في الحياة لا معنىٰ له بذاته ، وإنما فقط تبعًا للمعنىٰ الذي يخلعه الدين علىٰ العالم..... لقد كانت الفكرة القديمة فكرة دينية ، تعتمد المرجعية ، وترىٰ أن العالم الطبيعي ليس ذاتي المحتوىٰ سببيًا"[٤٠].

يعد كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) من أفضل الكتب التي تحدثت عن الفضائل والمثل العليا التي تتعلق بالذات العلية ، تحدث فيه عن الموجود الأول وأنه هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها ، وأنه تعالىٰ بريء من جميع أنحاء النقص ، ونفىٰ عنه تعالىٰ الشريك ، والضدَّ ، والحدَّ ، وتحدث عن وحدته وعظمته وكيفية صدور جميع الموجودات عنه ، وذكر مراتب الموجودات ، والأسماء التي ينبغي أن يُسمىٰ بها ، وتحدث عن المعاني والثواني والأجسام والمادة والصور والحركة والسكون ، وتناول أجزاء النفس الإنسانية وقواها وكيف تصير هذه القوىٰ ، والقوىٰ الناطقة وكيف تعقل وسبب ذلك ، وتحدث عن الفرق بين الإرادة والاختيار ، والسعادة ، والمنام والوحي ، واحتياج الإنسان إلىٰ الاجتماع والتعاون ، وتحدث عن صفات رئيس المدينة الفاضلة وخصاله ، ومضادَّات المدينة الفاضلة ، وتناول الحديث عن اتصال النفوس ، وصناعة السعادة ، والقول في الأشياء المشتركة لأهل المدينة الفاضلة ، وآراء أهل المدن الجاهلة والضالة ، وختم كتابه بالحديث عن العدل والخشوع والحكمة[٤١].

حاول الفارابي أن يجعل الحضارة العربية والإسلامية هي نطاقه في التأليف والمرجعية اليوتوبية ، وأن هدفه الاجتماعي كان من أجل تحقيق سعادة الفرد والمجتمع علىٰ السواء ، مع إعطائه صفات أخلاقية يجب أن يتمتع بها حاكم المدينة [٤٢].

٣- **الطور الثالث : أبو العلاء المعري (٤٤٩ هـ)** ، وما تحمله (رسالة الغفران) ، من آثاره الخالدة ، وهي يوتوبيا مثالية ، متخيلة إلىٰ العالم الآخر (الجنة والنار) ، وظهرت بها طائفة كبيرة من النصوص اليوتوبية التي تدعو إلىٰ الفضيلة والأخلاق .

يعالج المعري فيها بعض المشاكل الشائكة التي ضاق بها عالمه الواقعي كالعقاب والثواب والغفران وتناسخ الأرواح ، فضلاً عن معالجته لكثير من القضايا المثالية .

وكان لرسالة الغفران أثرها البارز في نفوس الكثيرين ، وأكدت بعض الدراسات الأدبية المقارنة تأثيرها في الكوميديا الإلهية لدانتي الإيطالي .

وقد حظيت هذه الرسالة ونالت استحسان كثير من النقاد المعاصرين ، كما تميزت بها القيم الجمالية والروحية بوصفها رمزاً للعالم المثالي الأفضل الذي تتطلع إليه المجتمعات[٤٣].

٤- **الطور الرابع : ابن طُفيل (٥٨١هـ)** ورسالته المعروفة باسم (حَيِّ ابنِ يَقْظَان) ، ألَّفَها في أسلوب قصصي ذي طابعٍ رمزيٍّ يحمل الاتجاه الصوفي ، يدعو فيها إلىٰ فلسفة الإشراق الروحي عن طريق التأمل ، وصبغها بصبغةٍ أدبيةٍ قصصية .

وموضوع القصة يتلخص في أن طفلاً اسمه (حَيّ بنُ يقظان) نشأ في جزيرة من جزر الهند معزولة عن العالم ، وقد ربَّته ظبيةٌ حَنَتْ عليه لأنها حسبته رضيعها المفقود ، وكبر الطفل وكان ذا موهبة فذة ، فأخذ ينظر ويتأمل ويستنتج متدرجاً في المحسوس إلىٰ المعقول ، ومن الجزئيات إلىٰ الكليات حتىٰ وصل إلىٰ تكوين فكرة عن الله ، وعن الملأ الأعلىٰ ، ثم أخذ من الرياضة الروحية حتىٰ وصل إلىٰ طور الولاية ثم شاءت الظروف أن يصل إلىٰ جزيرته عابدٌ متدين يدعىٰ (إبسال) أراد العزلة ليتفرغ للعبادة ، فالتقىٰ به حي بن يقظان وبعد تفاهمهما ، وأخذ كلٌّ منهما عن الآخر ، التزم حَيُّ بنُ يقظان بما ذكره له العابد (إبسال) من شعائر دينيه ، وبعد محاولة فاشلة لهداية المدينة التي نشأ فيها العابد التي كان علىٰ رأسها (سلامان) صاحب (إبسال) ، عاد حي بن يقظان إلىٰ جزيرته ، واستقر فيها إلىٰ أن أتاه اليقين [٤٤].

ويشير د/ عبد الرحمن بدوي إلىٰ أن الغاية الرئيسة التي استهدفها ابنُ طفيل هي بيان اتفاق العقل والنقل ، أي اتفاق الدين والفلسفة ، وحي بن يقظان هو رمز العقل الإنسان المتحرر من كل سلطة ومن كل معرفة سابقة ، ومع ذلك يهتدي إلىٰ الحقائق نفسها التي بها الدين الإسلامي ، فالدين حق ، والحق لا يتعدد ، ولهذا اتفق الدين والفلسفة ، و(إبسال) رمز لرجل الدين المتعمق المتأمل الغواص علىٰ المعاني الروحية ، و(سلامان) رمز لرجل الدين المتعلق بالظاهر ، المتجنب للتأويل ، المتوقف عند الأعمال الظاهرة والمعاني القريبة ، أما الجمهور فلا يعي إلا الظاهر والحروف ، ولا يدرك من معاني الدين شيئًا ، وواضح من هذا أن (ابن طفيل) يرتب الناس هذه المراتب الأربع : فأعلاها مرتبة الفيلسوف ، ويتلوها مرتبة عالم الدين البصير بالمعاني الروحانية ، أي

الصوفي ، ويتلوها مرتبة رجل الدين المتعلق بالظاهر ، وهو الفقيه ، وأدناها مرتبة الجمهور في الناس [٤٥].

لقد تركت قصة (حي بن يقظان) أثراً بارزاً في أوروبا ، وحظيت باهتمام كثير من الباحثين والدارسين الأوروبين حتىٰ عصرنا هذا ، وكانت من أعظم مؤلفات أبي بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل الأندلسي ، ترمز إلىٰ طلب الإنسان للمعارف بصحبة رفقة الدين والمعارف العليا المستقطبة من الوحي الإلهي ، مستعيناً بالعقل الذي يهدي إليها دون الخروج عن حيز الوجود الزمني والوجود الذاتي ، فابن طفيل الاندلسي عالم مسلم ، درس العلوم الدينية والفقهية في بلاد الأندلس قلعة الإسلام في البلاد الغربية .

فعلىٰ الرغم من اختلاف الكتب والكُتَّاب في تناول الظاهرة في تفصيلات ومناهج متباينة ، إلا أنها ظلت هدفاً يسعىٰ للوصل إلىٰ أعتابه الكثيرون مع اختلاف مواقفهم من الوجود والحياة.

« لقد حفل التراث الإنساني بعدد وافر من المؤلفات التي تطلعت إلىٰ هذه العوامل المثالية ، ومحاولة إيجاد مجتمعات فاضلة حالمة يسودها العدل والمساواة ابتداءً من جمهورية أفلاطون التي تعد من أكثر الأعمال اليوتوبية تأثيرا باليوتوبيات اللاحقة بها ، مرورا بيوتوبيات عصر النهضة كيوتوبيا سير توماس مور ، ومدينة الشمس لتوماس كامبانيلا ، ... ويوتوبيات القرن التاسع عشر ، ولعل أشهرها يوتوبيا (رحلة إلىٰ إيكاريا لايتين كابيه) ... انتهاءً باليوتوبيات الحديثة كيوتوبيا (الحجر الأبيض لأناتول فرانس) و (إنسان تحت الأرض لجبرييل تارد) و (السعادة العالمية لسيباستيان فور) ... وغيرها من اليوتوبيات الحديثة » [٤٦].

*** *** ***

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : حَرَكَاتُ يُوتُوبِيَّة لِطَوَائِف وَشُعَرَاءِ العَصْرِ الجَاهِلِي

حاول الشعراءُ قديمـًا منذُ الجاهلية الأولىٰ البحث عن التغيير والتحول من أجل ضمان تحقيق الاستقرار والأمن ، وتحقيق طموح القبائل العربية لتحقيق ذاتيتها أمام القوىٰ العظمىٰ آنذاك المتمثلة في الفرس والروم ، ومحاولة الالتحاق بكنف الحضارات وعدم التخلف عن ركب المسير .

ولقد مرّت هذه الفترة بعدة حركات من أجل التغيير ، جاءت علىٰ النحو التالي :

١ - الحركة الأولى : الشعراء الأمراء (امرؤ القيس بن حُجر) .

قُتِلَ أبوه (الأمير / حُجر بن الحارث)أحد أمراء إمارة كِندة التي تسكن شمال الجزيرة العربية آنذاك ، في حركة اضطهاد أيام كسرىٰ أنو شروان ، قتله بنو أسد[٤٧].

يعبر امرؤ القيس عن ديستوبيا الحياة التي حلَّتْ به بعد مقتل أبيه ، باكيـًا غياب السعادة التي كان ينعم بها ، فيقول[٤٨]:

١ -كَـأَنِّي لَـم أَركَـبْ جَـواداً لِلَـذَّةٍ وَلَـمْ أَتَـبَطَّنْ كَاعِبـًا ذَاتَ خَلخَـالِ

٢- ولم أَسْبأِ الزِّقَّ الـرَّوِيَّ ولَـم أَقُـلْ لِخَيلِـي كُـرِّي كَـرةً بَعـدَ إجفَـالِ

والأخبار كثيرة ومتفرقة في محاولة امرئ القيس استرداد ملك أبيه ، وتكوين دولة تحمل اسم كِندة ، فإن «بعض المصادر التاريخية اليونانية ذكرت في صراحة اسم شخص يُدعىٰ امرأ القيس كان من العرب التابعين لملوك الفرس ، وقد جعل يغير علىٰ القبائل في شمال الحجاز ، ويبسط سلطانه عليها ، وقد استطاع أن يستولي علىٰ جزيرة (يوتوبة Iotabe)، ويطرد منها عمال المكوس من الروم ، وعاد فرأىٰ أن يصانع الروم ، مخافة غزوهم له ، فأرسل إلىٰ بيزنطة أسقف

العرب الذين خضعوا لحُكمه (سنة ٤٧٣ م) ، ليفاوض قيصر في أن يعينه حاكماً علىٰ جنوب الأردن وساحل خليج العقبة ، ويمنحه لقب فيلارك ، ونجح الأسقف في سفارته ، ودعا القيصر امرأ القيس لزيارة عاصمته ، وبالغ في إكرامه ، وعاد إلىٰ بلاده » [٤٩].

ويطلب امرؤ القيس مجدَ أبيه الزَّائِلَ ، ويُدرِكُ صُعوبةَ المآلِ فيقول [٥٠]:

١ -فَلَوْ أنَّ مَا أَسعَىٰ لأَدْنَىٰ مَعِيشَةٍ كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ ، قَلِيْلٌ مِنَ المَالِ

٢- وَلَكِنَّمَا أَسْعَىٰ لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَقْد يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالِي

يقول دكتور/ مطاع صفدع : « إن الانخراط في عملية تغيير نوعي تستجيب للمشروع الثقافي العربي الذي كانت تستشفه بعض العقول النيرة من رواد التغيير الكبير في مجتمع الصحراء الأكبر ، من أمثال الأحناف ، وبعض الشعراء الروَّاد من الفرسان كامرئ القيس ، ومن الحكماء كزهير بن أبي سلمىٰ....فامرؤ القيس كان يتطلع إلىٰ بناء الدولة من مجتمع الفرسان بأخلاقهم وقانونهم »[٥١] .

يعدُّ تمرَّدُ امرئ القيس علىٰ وضعه الراهن ، ودعوتُه إلىٰ الحشود من أجل التغيير والتحول لاسترداد ملكه الزائل ، وبسطُ سلطانه علىٰ بعض القبائل ، وانقسامُه عن ملك الروم... أولَ حركات التغيير التي ظهرت علىٰ أيدي أشعر شعراء العرب وحامل لوائهم .

٢- الحركة الثانية : الشعراء الأحناف .

كان أمية بن أبي الصَّلت علىٰ رأس شعراء الحنيفية ، الذي كَبُر علىٰ نفسه سجودُ قومِه لأصنامٍ يصنعونها بأيديهم ، ثم يقدسونها في طوايا نفوسهم ، فلفظتها نفسه كما يلفظ الكير خبث الحديد ، وذلك يرجع إلىٰ عوامل نفسية في أمية وهي عدم إيمانه بما عليه قومه ، كما يرجع أيضا إلىٰ بعض الأخبار التي نستأنس إليها ،

« أن أمية كان يرتاد الأديرة والكنائس ويحاور الرهبان والقساوسة ، وربما كان يأخذ عنهم كثيرا من آداب النفس وأسرار الروحانيات » [٥٢].

وذلك يدل علىٰ أن أمية كان يبحث عن تغيير حقيق لما عليه قومه ، « فلم يجد غير الحنيفية فتحنف ، وكانت الحنيفية قد دُرست أكثر معالمها ، ولم يبق منها غير فكرة التوحيد واجتناب المفاسد الاجتماعية فتحنف » [٥٣].

قال الأصفهاني : « وحرَّم الخمر ، وشكَّ في الأوثان ، وكان محققا والتمس الدين » [٥٤].

لذلك تظهر اليوتوبيا الدينية في شعره ، فتجده يستخرج عناصر التمدن والحياة من باطن النصوص التي تحمل معنىٰ التقديس التي اكتسبها من حوار القساوسة والأحبار والرهبان ، فتجد إرهاصات معالم الدين الإسلامي قد بدت، دون خضوع النصوص للمؤثرات القبلية أو الموروثة كابر عن كابر ، تلك المحاولات لإحياء التغيير والتحول في قومه وعشيرته ، وتطبيق مطلق النص علىٰ الواقع ، وإعادة ضبط المجتمع بواسطة التأثير والعاطفة المستنيرة من خطة النص.

فتجده يدعو إلىٰ التوحيد الخالص من الشوائب ، والربوبية المطلقة ، فيقول : [٥٥].

١ - إذا قيل من رب هذا السما فليس سواه له مضطرِبْ

٢ - ولو قيل رب سوىٰ ربنا لقال العباد جميعاً كذِبْ

ويقول أيضا في توحيد الله تعالىٰ وتفرُّده بالألوهية والربوبية : [٥٦].

١ - أربًا واحداً أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمورُ

٢- ولكـن أعبُـدُ الـرحمنَ ربـي ليغفــرَ ذنبــيَ الــرَّب الغفــورُ

ويقول أيضـاً: [٥٧].

١- وإياك لا تجعـل مـع الله غيـره فـإن سـبيل الرشـد أصـبح باديـا

ويقول أيضـاً : [٥٨].

١- الحمــد لله لا شــريك لــه مــن لــم يقلهــا فنفســه ظلمــا

ويذكر الموت والبعث في مواضع كثيرة من شعره منها : [٥٩].

١- فكن خائفـاً للمـوت والبعـث بعـد ولا تَكُ ممن غـرَّه اليـومُ أو غـدُ

ويقول أيضـاً:[٦٠].

١- فاجعل الموت نصب عينك واحـذر غَولـة الـدهر إن للـدهر غُـولا

ويذكر الجنة والنار وأهلهما، فيقول :[٦١].

١- وسيق المجرمون وهـم عـراةٌ إلــىٰ ذات المقــامع والنكــالِ

٢- فليســوا ميتــين فيســتريحوا وكلهــم بحــر النــار صــالِ

٣- وحـل المتقـون بـدار صـدق وعـيش نـاعم تحـت الظـلالِ

ويقول أيضا راجيا من الله تعالىٰ جنته : [٦٢].

١- رب لا تحرمني جنـة الخلـد وكــن رب بــي رؤوفــا حفيــا

ويدعو إلىٰ الطهر وتجنب الخبث ، فيقول :[٦٣].

١- لا تخلطــنَّ خبيثــاتٍ بطيبــةٍ واخلــع ثيــاب وانْــجُ عريانــا

وينه عن أكل مال اليتيم ، وتعدِّي الحدود ، وانتهاز الضعيف ، فيقول :[٦٤].

١- ودفعُ الضعيف وأكلُ اليتيم ونهـكُ الحـدود فكـلٌّ حُـرِمْ

وينادي بالسلم والاستسلام لله تعالىٰ ، فيقول :[٦٥].

١- فما أنابوا لِسلمٍ حين تنذرهم رسلُ الإله وما كانوا له عَضُدا

ويقول داعيا إلىٰ الكرم والندىٰ ، والإنفاق والعطاء :[٦٦].

١- إنَّ التكرمَ والندىٰ من عامرٍ جدَّاك ما سُلِكَتْ لحجٍ غَـزْوَرُ

ويقول أيضـًا: [٦٧].

١- وميَّـزَ في انفاقـه بـين مصـلحٍ معايشـةً يضـرُّ وينفـع

٢- إذا اكتسب المالَ الفتىٰ من وجوهه وأحسـنَ تـدبيراً لـه حـين يجمـع

٣- وأرضىٰ به أهل الحتوف ولـم يضع بـه الـذُّخْرَ زاداً للتـي هـي أنفـع

٤- فـذاك الفتىٰ لا جامع المـال ذاخـراً لأولاد سـوءٍ حيـث حَلُّـوا وأوضـعوا

ويتحدث عن الشجاعة وحماية الأهل والدفاع عن الديار : [٦٨].

١- أنا الذائد الحامي الـذمار وإنَّمـا يدافع عن أحسابهم أنـا أو مثلي

ويذكر آيات الله تعالىٰ في خلقه للسماوات والأرض والليل والنهار ، ويرىٰ أن كل دين خلا دين الحنيفية باطل ، فيقول وهي تُروىٰ لأبيه أيضـًا : [٦٩].

١- إنَّ آيـات ربنـا باقيـاتٍ مـا يُمـاري فـيهنَّ إلا الكفـورُ

٢- خلـق الليـلَ والنهـارَ فكـلٌّ مسـتبين حسـابه مقـدورُ

٣- ثـم يجلـو النهـارَ ربٌّ كـريم بمهـاةٍ شـعاعُها منشـورُ

٤- كـل ديـنٍ يـوم القيامـة عنـ ـد الله إلا ديـنَ الحنيفـة زورُ

ويتحدث عن الجهل والجاهل ، والعلم والعالم فيقول :[٧٠].

١ – وقد يقتل الجهل السؤال ويشتفي إذا عـاينَ الأمـرَ المهـمَّ المعـاينُ

٢ – وفي البحث قدما والسؤال لذي العمىٰ شـفاءٌ وأشـفىٰ منهمـا مـا تُعـاينُ

كانت هذه محاولة من الشعراء المتحنفين علىٰ وجه العموم ، ومن أمية بن أبي الصلت علىٰ وجه الخصوص للتغيير البيئي ، والتحول من بيئة جاهلية تعبد الأوثان وتسجد للأصنام إلىٰ بيئة تعبد الله تعالىٰ وتوحِّده ، وتخاف عذابه ، وتؤمن بجنته وناره ، وثوابه وعقابه ، تحب الطهر ، والكرم ، والانفاق ، وحماية الجار ، وتكره أكل مال اليتيم ، والتعدي ، والتسلط ...الخ ، فدعوته النيرة للتغيير تؤكد رجاحة عقله ، وتستشف منها حكمته ، وما هذه الخصال إلا يوتوبيا حقيقة ودعوة علىٰ أرض واقعية .

يقول د/ مطاع صفدع مؤيدا لهذه الحركة :« وفي الوقت ذاته كانت طلاع مثقفي العرب الذين عرفوا بالأحناف، يقومون بعملية نقدٍ شامل لمجمع السلوك الاجتماعي والعقائدي السائد في المجتمعات القبلية»(٧١).

٣-**الحركة الثالثة** : **الشعراء الفرسان** : ومنهم الفارس الخالد في أذهان العربية وأسطورتها الأولىٰ عنترةُ بنُ شداد العبسي ، أهم فرسان العرب الذين طارت شهرتهم بالفروسية والشجاعة ، ومثلهم الأعلىٰ في البسالة والبطولة القتالية ، ونلاحظ بصفة عامة « أن الفروسية الجاهلية بعثت في نفوس أصحابها ضربـًا من التسامح والإحساس بالمروءة الكاملة...وردَّدِ البصرَ في أشعار عنترة فستجده يأسر لُبَّك بمثله الخلقية الرفيعة »(٧٢).

يذكر عنترة العنصرية التي كانت مسيطرة علىٰ الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، ولكنه كان مصونـًا بعفته وشجاعته فيقول :(٧٣)

١ – لَئِنْ أَكُ أَسوَداً، فَالمِسكُ لَوْنِي وَمَـا لِسَـوادِ جِلْـدِي مِـنْ دَوَاءِ

٢- وَلكِـنْ تَبْعُـدُ الفَحشَـاءُ عَنِّـي كَبُعـدِ الأَرضِ عَـنْ جَـوِّ السَّـمَاءِ

ويؤكد هذا المعني قائلاً :(٧٤)

١- لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَـبٌ يَوْمَ النِّزَالِ ، إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ

ويقول في التسامح وحسن المخالطة والمعاشرة إذا لم يظلم :(٧٥)

١- أَثْنِي عَلـيَّ بمـا عَلِمْـتِ فَـإِنَّنِي سَمْحٌ مُخَـالَقَتِي إِذَا لَـمْ أُظْلَـمِ

ويتحدث عن الإيثار وكرم الطباع ، فيقول في معلقته: (٧٦)

١- يُخبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقَائِعَ أَنَّنِي أَغْشَىٰ الوَغَىٰ وَأَعِفُّ عِندَ المَغْنَمِ

ويصف المروءة الكاملة ، مروءة مطرَّزة بالعفة والعفاف ، فهو لا يرزأ وليًا محافظًا علىٰ حسبه واصلاً لرحمه شيئًا من ماله إلا جزاه أضعافًا ، ويزور الفتاة واصلاً لرحمه ما دام حليلها معها ، فإذا خرج غازيًا لم يغشها محافظةً عليها وصيانة لعرضها ، يغضُّ بصره إذا بدت له جارته حتىٰ تدخل منزلها فيواريها ، ولا يُتْبعها بصره ، وإذا هَوَتْ نفسُه ما يكون فيه غضاضة عليه ولجَّتْ في إرادته مَنَعها منه ولم يتبعها ، فيقول:(٧٧)

١- وَلَمَـا رَزَأْتُ أَخَـا حِفَـاظٍ سِـلْعَةً إِلَّا لَـهُ عِنْـدِي بِهـا مِثْلاهـا

٢- أَغْشَـىٰ فَتَـاةَ الحَـيِّ عِنْـدَ حَلِيلِهـا وَإِذَا غَزا فَي الجَيْشِ لا أَغْاشَها

٣- وأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حَتَّـىٰ يُـوَارِي جَـارَتِي مَأْوَاهَـا

٤- إِنِّـي امْـرُؤ سَـمْحُ الخَلِيقَـةِ مَاجِـدٌ لا أُتْبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

فالعفة والشجاعة ، والإيثار والتسامح ، وعدم الظلم وحسن المعاشرة ، وغض البصر صفات نادىٰ بها الشعراء الفرسان ، وهذه الصفات كانت إرهاصا

من الفرسان لظاهرة اليوتوبيا التي تعني التحول من بيئة يملؤها الظلم وسوء المعاشرة وعدم الإيثار والتطلع للمرأة واتباع النفس هواها إلىٰ البحث عن بيئة تملؤها سلوكيات خلقية سامية .

فأدب الفروسية يعتبر أدبـًا عابراً يحمل الهوية الفردية لطائفة من المجتمع الجاهلي ، ينبض برؤية ذات ارتدادات متواصلة نحو مناطق مجهولة داخل النفس الإنسانية في مجتمع يوصف بالجاهلية ، فيقترح يوتوبيات حالمة موازية للعالم المتحضر والمجتمع المثالي ، فهو يحاول السيطرة علىٰ بعض صفات وسلوكيات مفقودة عبر مجتمع مندفع نحو السعي إلىٰ معية الحياة ، فمثَّل أدبـًا عميقـًا لهذه الحالات المتضاربة وكشف عنها ، ليعيد بناء مسار الحياة الجاهلية .

ولكن كان للواقع رأي آخر ، فطائفة الفرسان لا تُعين علىٰ تغيير إرادة مجتمع بأكمله ، ولكنها تُنكر فقط، أما فكرة الإقناع فما زالت مترددة في نفوس المجتمع ، لذا « لم تصبح الفروسية فروسية حربية فحس بل أصبحت فروسية خلقية سامية ، فيها الحب الطاهر العفيف الذي يجعل من المحبوبة مثلا أعلىٰ ، والذي يرتفع صاحبه عن الغايات الجسدية الحسية إلىٰ غاية روحية تنم عن صفاء النفس ونقاء القلب ، وفيها التسامي عن الدنايا والنقائص الذي يملأ النفوس بالأنفة والإباء والعزة والكرامة والحس المرهف والشعور الدقيق »[٧٨].

٤- **الحركة الرابعة** : **شعراء الحكمة والسلام** ، وعلىٰ رأسهم زهير بن أبي سلمىٰ ، الذي عاش خلال الحروب التي حمي وطيسها بين عبس وذبيان ، ونَشبتْ نيرانُها بين القبائل والعشائر .

وهو من أشهر شعراء الجاهلية في إعطاء الحكمة ، وعُرف في حياته بالرصانة والتَّعقل ، وهو شخصية متميِّزة من شخصيات العصر الجاهلي

شخصية فيها برٌّ ورحمة ، وفيها نزعة قوية إلىٰ الخير ، آراؤه ليست إلَّا من أوليات التفكير الإنساني وتفكير الشعب لأنه كان يكلِّمه فيها بما يعرف ويألف [٧٩].

ولقد دعا إلىٰ التغيير في أقوله وأشعاره ، وقسَّم أسس العدل ثلاثة أقسام ، وبيَّن أن القضاء لابد أن يُبنىٰ علىٰ ثلاث (يمين علىٰ المنكر ، أو منافرة إلىٰ حاكم يحكم بالبيِّنة ، أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتَّضحُ به الدَّعوىٰ) ، فيقول : [٨٠].

١ – وإنَّ الحـقَّ مَقطَعُـهُ ثـلاثٌ: يمـــينٌ أو نِفـــارٌ أو جـــلاءُ

٢ – فَـذَلِكُمُ مَقَـاطِعُ كُـلِّ حَـقٍّ: ثَـلاثٌ ، كُلُّهُـنَّ لَكُـمْ شِـفَاءُ

مما دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتعجب من هذين البيتين ويقول:« لو أدركت زهيراً لولَّيْتُه القضاء لمعرفته » [٨١].

وجاء في الشعر والشعراء :« لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلىٰ أبي موسىٰ الأشْعَري ما زاد علىٰ ما قال»[٨٢].

ويتحدث عن التقوىٰ وصلة الرَّحِم وأن الله هو المنجِّي من العثرات ، فيقول: [٨٣].

١ – ومِنْ ضَرِيبَتِه التَّقوَىٰ ، ويَعْصِمُهُ مِنْ سَيِّءِ العَثَرَاتِ اللهُ ، والرَّحِمُ

ويتحدث عن البخل والجود والعفاف والإيثار ، فيقول : [٨٤].

١ – إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ ،حَيثُ كَانَ ،وَلـ ـكنَّ الجَوَادَ ، عَلىٰ عِلَّاتِه ، هَـرِمُ

٢ – هُو الجَـوادُ ، الـذِي يُعطِيـكَ نَائِلَـهُ عَفْـواً ، ويُظْلَـمُ أَحيَانـًا فَـيَظَّلِمُ

وكان زهير يتعفف في شعره ، ويدعو إلىٰ الإيمان بالله والبعث والحساب:[٨٥].

١ – فَلا تَكتُمنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ لِيخفَىٰ وَمَهمَا يُكتَمُ اللهُ يَعْلَمِ

٢ – يُؤَخَّرْ فَيوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أو يُعجَّلْ فَيُنقَمِ

يقول دكتور شوقي ضيف: « وإذا صحت نسبة البيتين إليه ، كان دليلاً علىٰ أنه أحد مَن تحنفوا في الجاهلية وشكّوا في دينهم الوثني» (٨٦).

وجاء في كتاب (المحبر) أنه ممن حرموا في الجاهلية علىٰ أنفسهم الخمر والسكر والأزلام (٨٧).

ومما سبق يتضح أن زهيراً ممن دعوا إلىٰ التغيير في البيئة الجاهلية ، كما أنَّ الأيام التي عاشها زهير لم تكن أيام استقرار وأمن ، فدائما تُشنُّ الغارات ، وتجيش القلوب بالأضغان ، فتُسلُّ السيوف ، وتقطع الرقاب .. فكيف تنتهي هذه السلسة من القتل والدمار ؟... ومن هنا راح زهير ينادي بالسِّلم والسَّلام والحب والجمال ، مشيداً بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين سعيا للصلح بين عبس وذبيان ، فيقول مُناديا بالسلم والصلح :(٨٨).

١ – يَمِينـاً لَـنِعمَ السَّـيِّدَانِ وُجِـدْتُما عَلَىٰ كُـلِّ حَـالٍ مِـن سَـحِيلٍ ومُبْـرِمِ

٢ – تَـدَارَكْتُما عَبْسـاً وذُبْيَـانَ بَعـدَما تَفَـانُوا وَدَقُّـوا بِيـنَهُم عِطْـرَ مَنْشِـمِ

٣– وَقَدْ قُلتُما أنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعـاً بِمـالٍ ومَعـرُوفٍ مِـن الأمْـرِ نَسْـلَمِ

٤ – فَأَصْبَحتُمَا مِنهُما عَلَىٰ خَيرِ مَوْطِنٍ بَعِيـدَينِ فِيهَـا مِـن عُقُـوقٍ ومَـأْثَمِ

٥ – عَظِيمَـينِ فِـي عُلْيَـا مَعَـدٍّ ، هُـدِيْتُمَا ومَـنْ يَسـتَبِحْ كَنْـزاً مِـنَ المَجْـدِ يَعْظُـمِ

يقول د/ مطاع :« أما زهير فإنه في دعوته إلىٰ إحلال السلام بين القبائل كان يتصور إمكانية قيام مجتمع تحكمه علاقات الأخوة والتساوي ، فإن إلغاء

الحرب بين القبائل يتطلب إحلال نظام جديد تتنازل فيه القبائل عن شيء من امتيازاتها الخاصة من أجل تنمية مصالح جماعية تأتي في أساس إنشاء الدولة »

وتأكيداً لما حاول زهير القيام به من حلمه بالتغيير ودعوته إلىٰ السلام بين القبائل ، يقول الجنرال الألماني "فون مولتكة ": « ...إن السلام حلم ، ولكنه مع ذلك حلم جميل ... ومن الصعب تحقيقه ، بل إن السلام في حد ذاته صراع من نوع ما من أجل التمييز ، وأثمن ما يمتلكه الإنسان هو روحه الوثابة ، وإرادته للحياة ، وشعوره بالكرامة ، ولا يمكن أن يقوم سلام إلا بتوازن القوىٰ ، هذا التوازن الذي يتغير دائمـًا بتغيير الظروف ؛ لذلك لابد من الأخذ بنظر الاعتبار توازن المصالح علىٰ المدىٰ البعيد» [٩٠].

ويقول د/ شوقي ضيف عن زهير : « وجعلته هذه المآثر يشيد بالسلم والسلام ، فكان بذلك شذوذاً علىٰ ذوق الجاهليين وأشعارهم التي تدوِّي بفكرة الأخذ بالثأر والترامي علىٰ الحرب ترامي الفراش علىٰ النار»[٩١].

والأدلة علىٰ ديمومة الثأر بين العرب كثيرة ، منها قول تأبط شراً :[٩٢].

١- ثَـأَرتُ بِـه بِمـا اقتَرَفَـتْ يَـدَاهُ فَظَـلَّ لَهَـا بِنَـا يَـوْمٌ غَشُـومُ

٢- نَحِـزُ رِقَـابَهُمْ ، حَتَّـىٰ نَزَعْنَـا وَأَنْـفُ المَـوْتِ مَنْخِـرُهُ رَمِـيْمُ

فزهير يدعو إلىٰ السلام بين القبائل والتحول من حياة القتل والثأر إلىٰ حياة السلم والأمن والوداعة بين القبائل التي يجب أن تنتشر فيها المحبة والرحمة بديلا من القسوة والكراهية ، ومن ثم راح يصور بشاعة الحرب في صور مخيفة قبيحة ، فالحرب أُسْدٌ ضَارِيةٌ ، وَنَارٌ مُشتعِلَةٌ ، ورَحَىٰ تَطحنُ النَّاسَ ، ولا تلدُ إلا غلامَ الشُّؤمِ ، فيقول:[٩٣].

١ – وَمَا الحَربُ إلَّا مَا عَلِمتُم وذُقتُم ... ومَـا هُـو عَنهَـا بِالحَـديثِ المُـرَجَّمِ

٢ – مَتَـىٰ تَبْعَثُوهَـا ، تَبْعَثُوهَـا ذَمِيمَـةً ... وتَضْـــرَ ، إِذَا ضَـــرَّيَتُمُوهَا فَتَضْـــرَمِ

٣ – فَتَعْـرُكْكُمُ عَـرْكَ الرَّحَـىٰ بِثِفَالِهَـا ... وتَلْقَـحْ كِشَـافًا ثُـمَّ تَنْـتَجْ فَتُتْـئِمِ

٤ – فَتَنْتَجْ لَكُم غِلمـانَ أَشْـأَمَ ، كُلُّهُـم ... كَـأَحْمَرِ عَـادٍ ثُـمَّ تُرْضِـعْ فَـتَفْطِمِ

« ومن خلال معلقة زهير بن أبي سلمىٰ تدل القراءة الحديثة علىٰ هذه السلسلة الطويلة من الأوصاف السلبية التي صوَّر الشاعر من خلالها آثار ومعاني ذلك الشكل من الصراع الحربي العقيم الذي يقتل الإنسان ويدمر المجتمع ولا يخرج منه أحدٌ مُنتصراً ، ولكنه يشغل الجميع بهموم الموت المعمم المستمر »[٩٤].

فكان زهير علىٰ خلفية كبيرة بالوقائع والأحداث ، فلجأ إلىٰ تقنية مغايرة لم يعتدها العرب ، فنادىٰ بالسلام بين أيام العرب التي كانت سجالا بينهم ، يضمد جراحهم ، ويصوِّر إيثارهم وكرمهم ، فيقول:[٩٥].

١ – وإِنْ أَتَاهُ خَلِيْلٌ ، يَوْمَ مَسْأَلَةٍ ... يَقُـولُ: لا غَائِـبٌ مَـالِي ، وَلَا حَـرِمُ

يقول د/ شوقي ضيف : « وهو شاعر الخير بدعوته إلىٰ السلام ، وبما رسمه للفضيلة من مُثُلٍ »[٩٦].

« لقد كان حدس زهير بن أبي سلمىٰ يلخص في حينه أزمةَ الوعي العربي لدىٰ الطلائع الثقافية ، فكان يرىٰ إلىٰ الحروب القبلية القائمة هنا وهناك ، فلا يجد فيها سوىٰ الصراع السياسي العبثي المجرد عن أي مضمون ذي صلة بالمشروع الثقافي »[٩٧].

« فدعوة السلام بين القبائل التي وعاها زهير تتكامل مع دعوة الأحناف للتوحيد في العبادة للإله الواحد ، وتمهيدان معًا للمناخ الرسولي السياسي ، الذي سيضطلع به النبي محمد في حمله للواء الرسالة الإسلامية »[٩٨].

٥- **الحركة الخامسة** : **الشعراء الصعاليك** ، علىٰ الرغم أنه لا يكاد ينكر أحد أن وظيفة الصعاليك الأساسية وهدفها يتمثلان في تحقيق المساواة ورفع الظلم ، فإننا لا نتصور في الوقت الحاضر علىٰ الإطلاق أنها كانت مجرد نشاط يُفْضِي إلىٰ خيال أو واقع مستحيل ، فمن شأنها أن تسبغ مدلولاً يفعل تفاوضًا بشأن التباين البعيد لمعنىٰ اليوتوبيا ومفهومها محيلاً إياها إلىٰ مجموعة مستمدة من الواقع الجاهلي ، ومستوحاة من بيئته ومجتمعه ، وتبدأ عملية البحث والنقاش مدفوعة ببواعث وصياغة تنطوي علىٰ تفعيل ذلك علىٰ أرض الواقع ؛ لذلك أفردتُ لها مبحثًا لاختلافها عن سابق الحركات .

*** *** ***

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : اليوتوبيا فِي شِعْرِ الصَّعَالِيكِ

قضىٰ هؤلاء الصعاليك جُلَّ حياتهم في محاربة الفقر وممارسة الكديَّة من أجل الحصول علىٰ الحرية والخروج من قبضة القبيلة ، فما قام به الصعاليك من تملُّق وصراع وغارة يقودون بها ثورة تجديدية في مجتمعهم ، يؤمنون معها بالتفاؤل واستطلاع الأمل ، يحاولون النهوض الثوري إلا أن أدواتهم وقدرتهم لم تحقق السبيل .

ي مثل هذا المجتمع المأساوي يؤدّىٰ الاستبداد والاستعباد إلىٰ التمرّد والمغامرة والانحراف عند فئةٍ تشتهر بالخلعاء والصعاليك ، وعلىٰ وفق نظرية أدلر « يسعىٰ هؤلاء إلىٰ الحصول علىٰ السموّ؛ لتحقيق التفوق والكمال، لكن المجتمع المستبد قد هاجم عقلهم وروحهم كي تتغلب عليهم الدُّونِيةُ »[٩٩].

إن النظام العام عند طائفة الصعاليك قوامُه صِراعٌ سلوكي ضد الأغنياء البخلاء الذين يرون الشر مطية حياته، ويرىٰ " مور " أن : « السبب في وجود الشر هو سبب اجتماعي ، والسبب الأساسي المحدد لكل ذلك هو الملكية الخاصة"[١٠٠].

وهذا بسب ما فعلته الطَّبَقِية في العصر الجاهلي، التي سعت إلىٰ إغلاق آمال البشر وجعلتهم رهائن لفكر سبَّبَ فوضىٰ اجتماعية وحروبـًا بين القبائل ، بيد أن هذا الفكر الطَّبقي تبدَّد عندما فتح الشعراء الصعاليك الآفاق من خلال بث دوافع طوباوية تحث الناس علىٰ رفض تلك الأفكار والممارسات العنصرية .

إن هذه الحياة الثائرة علىٰ المجتمع والمتوحشة التي عاشها الشعراء الصعاليك لم تمنعهم من التحلي بأفضل القيم الاجتماعية السائدة في

المجتمعات الجاهلية ، يقول د/ الحوفي : إن في قلوبهم شجاعة ، وفي أجسامهم قوة وفتوة ، وهم لهذا كله يثورون علىٰ النظام المالي[١٠١].

فمازال هؤلاء الصعاليك يسعون لحياة جديدة في مجتمعهم تُؤمنُ بالمساواة والعدالة وعدم الظلم ، وهذا الشعر يعد من الأدب التَّقَدُّمِي ، « وهو الأدب الذي يعبر عن أفكار القوىٰ النامية في مجتمع ما » [١٠٢].

قال السَّياب:« أما خصائص هذا الأدب فهي التفاؤل والثقة في المستقبل والإيمان بالإنسان واحترامه كفرد وكمجموع ، وتفهم حقيقة الروابط التي تربط الأفراد.»[١٠٣].

ولعل أصدق مثال: ما في شعر عروة بن الورد من قيم وفضائل تبناها ودعا إليها في شعره مما جعله موضع إعجاب من قبل الدارسين قديمًا وحديثًا ، وهو ما دفع معاوية بن أبي سفيان أن يقول : لو كان لعروة وَلَدٌ لأحببتُ أن أتزوجَ إليهم[١٠٤].

وحمل عبد الملك بن مروان علىٰ أن يقول : ما يسرُّني أنَّ أحدًا من العرب وَلَدَنِي ممَّن لم يَلدْنِي إلا عُروة بن الوَرْدِ ، لقوله:[١٠٥].

١ - إني امـرؤٌ عـافىٰ إنـائي شِـرْكةٌ وأنـت امـرؤٌ عـافىٰ إنائِـكَ واحـدُ

فهو يعبر عن معنىٰ إنساني رفيع ، فيقول هاجيًا : إنني يشركني كثيرون من السائلين وذوي الحاجة في إنائي ، أما أنت فلا شريك لك .

وإن كان عروة هو مقرر المبادئ وأبو الصعاليك ، فإن الشنفرىٰ صاحب اللامية ، قد جعلها حافلة بالقيم الفاضلة ، فكان الخلفاء يحرصون علىٰ تعليمها أولادهم.

هذه هي بعض قيم الصعاليك ، ولكنهم جميعًا اتفقوا علىٰ هذه القيم وحاولوا أن يظهروا بها ، إذ أنهم دائمًا ما يحاولون الظهور بمظهر السيد المفتخر بأفضل القيم والداعي إليها.

يقول عفيف عبد الرحمن :لم تَبْرُزْ حَرَكَةٌ مُتمرِّدَةٌ عَلَىٰ التَّقاليدِ كَتلْكَ الَّتِي بَرَزَتْ، وأَعْنِي حَرَكَةَ الصَّعالِيكِ(١٠٦).

ويقول أحمد سويلم: كان شعرُ الصعاليك أولَ ثورةٍ واقعيةٍ مُتمردةٍ في الشعر الجاهلي(١٠٧).

ثم إن حال هؤلاء الصعاليك الباحثين عن الفضيلة ليزداد سوءًا كلما قارنوا حالهم بحال الساسة من أفراد القبيلة المترفين في النعمة والمال يستأثرون بخيرها، ويقصرونه عليهم، ولا يلتفتون إلىٰ غيرهم، ومع ذلك يتمتعون بأنفة وسلطة عارمة تمنعهم من طلب المساواة، فالصعلوك ليس فقيرًا خامـًا يظهر يائسًا مستسلمًا ، بل الفقير المقاوم الذي يكثر الغزو ، والشجاع المقتدر علىٰ مواجهة الواقع بقوة ، يقول عروة يمدح الصعلوك المغامر :(١٠٨).

١- ولكنَّ صعلوكـًا ، صـحيفة وجهـه كضـوء شـهاب القـابس المتنـور

٢- مُطِـلًّا علـىٰ أعدائـه يزجرونـه بساحتهم ، زجرَ المنيح المشـهر

- **بواعث اليوتوبيا والديستوبيا عند الشعراء الصعاليك:**

ولا يغيب أن الصعاليك كانت لديهم دوافع للبحث عن اليوتوبيا أو(المجتمع المثالي) ، أولها : **محاربة الفقر** ، لأنه القاسم المشترك الذي يجمع أفراد القبيلة مع كل الصعاليك ، فكل صعلوك فقير .(حتىٰ عروة سيدهم كان فقيرًا) .

« تتردد في أشعارهم جميعـًا صيحات الفقر والجوع ، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة علىٰ الأغنياء والأشحاء »[١٠٩].

فدافع اليوتوبيا في هذا العنصر هو البحث عن مجتمع مثالي خال من الفقر والفقراء ، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ، والقضاء علىٰ الجوع والفاقة والخلة.

ولقد عانىٰ الشعراء الصعاليك مما عانىٰ منه مجتمعهم ، ولقد غلب علىٰ موضوعات شعرهم الحديث عن الفقر ، وصبغوه بلون جديد يدعو إلىٰ الخروج والتمرد والدفاع ، فلا نكاد نجد شعر أحدهم يخلو من ذكر الفقر والإملاق والعسر وضيق اليد ، ومن ذلك قول عروة مخاطبًا زوجته:[١١٠].

١- زَرِينِي أَطُوفُ فِي البِلادِ لَعَلَّنِي أَفِيدُ غِنىً فِيه لِذي الحَقِّ مَحمَلُ

٢- أَلَيسَ عَظِيمـًا أنْ تلِمَّ مَلَمَّةٌ وَلَيْسَ عَلَينَا فِي الحُقُوقِ معَولُ

٣- فإنْ نحنُ لَمْ نَملكْ دِفَاعًا بِحادثٍ تَلمُّ بِه الأيَّامُ ، فَالمَوتُ أَجْمَلُ

فعروة بن الورد يذكر ما يعانيه وأصحابه الفقراء من لدغات الجوع وآلامه في معظم قصائده.

وأبو خِراش يعد بالغزو لإطعام أهله ، وإلا فعليهم بالإمساك عن الطعام ، فيقول:[١١١].

١- فإنَّ غدًا إن لا نجِد بعضَ زَادنا نُفِيءْ لَكِ زَادًا أو نُعَدِّكِ بِالأزْمِ

إن الصعاليك يعدُّون الإغارة والأخذ بالقوة خير لهم من الإحساس بالضعف والحاجة إلىٰ الغير.

ويرىٰ حسين مروة أن الفقر هو أحد عاملين كانا وراء خروج الصعاليك وامتهانهم الغزو حيث يقول« :لم يكن الصعاليك سوىٰ فئة من فقراء القبائل المختلفة عبرت بانسلاخها عن واقعين اثنين لهما دلالة واحدة عبرت أولاً: عن خروجها عن الانتماء الذي يلزمها الالتصاق بحياة القبيلة ، والانقياد لأوضاعها وأعرافها القبلية ، وعبرت ثانيًا :عن حاجة مادية لم تستطع احتمالها في ظل القبيلة » [١١٢].

وكان **الانتقام من الرأسماليين** ، أحد بواعثهم ؛ فما كان الصعاليك ليخرجوا علىٰ مجتمعاتهم ويثوروا عليهم لو أنهم وجدوا فيها ما ينشدونه من تكافل اجتماعي ، وعدالة بين أفراد القبيلة ، فبدتْ دعوتُهم للقضاء علىٰ العُبودية ، في جوٍّ نفسيٍّ يملؤه الحقدُ والحسدُ والصراعُ النفسيُّ دَاخل كلِّ فردٍ مُتصعلكٍ.

فلقد عانىٰ الفقراء من أصحاب الثراء أي معاناة ، فأظهر الصعاليك منطلق سخطهم علىٰ اختلال ميزان العدالة الاجتماعية ، وسخطهم علىٰ أصحاب الثراء الذين جعلوا السيادة من أهم صفاتهم الاجتماعية إضافة إلىٰ الشح والبخل والعبودية.

ولعل الشنفري هو أكثرهم تميزًا في هذا الدافع إذا أقسم أن يقتل من بني سلامان بن مفرج مائة رجل بما استعبدوه ، فيقول في ذلك :[١١٣].

١- جَزَيْنَا سَلَامانَ بْنَ مُفْرِجٍ قَرْضَها بِمَا قَدَّمَتْ أيْدِيهِمُ وأَزَلَّتِ

٢- شَفَيْنَا بِعَبْدِ اللهِ بعْضَ غَلِيلِنا وَعَوْفٍ لَدَىٰ المَعْدَي أَوَانَ اسْتَهَلَّتِ

ومنهم عروة بن الورد الذي كان يصبُّ جَمَّ غضبه علىٰ الأغنياء ويدعو صعاليكه لغزوهم ، إذ يشترك دافعا الفقر والانتقام من الإقطاعيين البخلاء عند عروة.

ويظهر ذلك في ذمه لسيد بني زبان (شريك)الذي أظهر ضيقه بعروة وأصحابه عندما نزلوا عنده ، فقال فيه : [١١٤].

١- تولَّىٰ بنو زيَّان عنا بفضلهم ، وودَّ شريكٌ لو نسير ، فتبعدُ

٢- ليهنىء شريكًا وطْبُه ولِقاحُه وذو العُس ، بعد النومةِ ، المبرَدُ

فعروة يذم هذا الرجل ويظهر حنقه علىٰ بخله وجشعه ، حتىٰ أنه يَوَدُّ أن يرحلوا ليهنأ بشراب اللبن من النوق في قدحه الضخم المبرد ، فنحسُّ هنا غصَّة في حلق الشاعر ، ونستشف في وصفه نغمة الانتقام من أصحاب الثراء البخلاء .

يقول حسين عطوان :« تأبط شرًا ، والشنفري، والسليك ، جمع بينهم الجوع والضياع والتشرد والتمرد والثورة علىٰ المجتمع ، ومضوا يحققون وجودهم في مجتمع لم يعترف بهم »[١١٥].

ويمكننا أن نضيف إلىٰ هؤلاء ، أبا خراش ، وعمرو ذا الكلب من كاهل الذي كان يغزو قبيلة فهمٍ ، ويتوعدهم بأنه سيغزوهم وسيؤذيهم ببأسه وبطشه، فيقول:[١١٦].

1- فإما تَثقَفوني فاقتلوني وإن أَثقَف فسوف تَرونَ بَالي

2- فأبرَح غَازيًا أَهدِي رَعِيلاً أَوُّمّ سَوادَ طَوْدٍ ذِي نِجَالِ

ولقد تداخلت الدوافع في تكوين شخصيات أولئك الشعراء ، وشكلت ما يسمىٰ (بيوتوبيا الصعاليك)، فلقد نظموا قصائدهم داخل هذا الإطار ، ودعموا بها مواقفهم ، وكشفوا فيها عن يوتوبيا خفية عند العرب آنذاك ، قد ظلَّت خفية المعالم إلىٰ يومنا هذا.

مدحهم قدامة بن جعفر « بما سلكوه من الإقدام والفتك والتشمير والجلد والتيقظ والصبر، مع التخرق والسماحة ، وقلة الاكتراث للخطوب الملمة » (١١٧).

وظهر باعث **رفض الظلم الاجتماعي والتبرم من الواقع** في شعر الصعاليك، في ممارستهم للخروج علىٰ القبيلة ، فَتَبَنِّي فكرةِ الرفض كانت من أهم الدوافع التي يعتمد عليها الشاعر الصعلوك ، وكذلك ممارستهم للخروج كممارسة واقعية كانت باعثاً يحث الناس علىٰ البحث عن العدالة والمساواة .

فالشنفرىٰ يستهل لاميته بيأسه من بني أمه وأهله، ويعلن خروجه وتمرده ، وعدم رضاه بالضيم والذل علىٰ نفسه ، ويقرر الرحيل عن بني جلدته ،فيقول :(١١٨).

١ – أَقِيمُـوا بَنِـي أُمِّـي صُـدُورَ مَطِـيِّكُمْ فَإِنِّي إِلَىٰ قَـوْمٍ سِـوَاكُمْ لَأَمْيَـلُ

٢ – فَقَدْ حُمَّـتِ الحَاجَـاتُ وَاللَّيْـلُ مُقْمِـرُ وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

٣– وَفِي الأَرْضِ مَنْأَىٰ لِلكرِيمِ عَنِ الأَذَىٰ وفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَىٰ مُتَعَزَّلُ

ويعلن عروة هو الآخر خروجه وتمرده علىٰ القبيلة ، فالفجاج واسعة ، منكرا علىٰ الأهل والقبيلة فعالهم ، فيقول : (١١٩).

١ – وَسَائِلَةٍ أَيْنَ الرَّحِيلُ ؟ وَسَائِلٍ ، ومَـنْ يَسـأَلُ الصُّـعلُوكَ : أَيْـنَ مَذاهِبُـه

٢ – مَذاهِبُـهُ أَنَّ الفِجَـاجَ عَرِيضَـةٌ إِذَا ضَـــنَّ عَنْـــهُ ، بِالفِعَـــالِ أَقَارِبُـــه

إن رفض الصعاليك للظلم والتبرم من الأقارب ، جعل أعمالهم الشعرية تحمل طاقة إيجابية تفتح ما أغلقته الإيديولوجيا ، فالظلم الاجتماعي والتفرقة بين أفراد القبيلة ممارسةٌ إيديولوجية تسعىٰ إلىٰ إغلاق المجتمع ، وخلق طاقة سلبية تتحكم فيه.

وحينما ننظر إلىٰ مطالب الصعاليك باعتبارها دوافع نحو مجتمع طوباوي يحقق شروط الحياة المثالية ، تلك المثالية التي حاول الصعاليك إيجاد بواعثها في حركة التاريخ العربي من المجتمع الجاهلي التي تحكَّمت فيه إيديولوجيا العنصرية والتخلف الاجتماعي والظلم ... للبحث عن مجتمعٍ ينفتح فيه ذلك الانغلاق الإيديولوجي لتبرز بواعث اليوتوبيا والمجتمع الإنساني المثالي ، لذلك كان **الإيثار من أهم مطالبهم** .

وفي شعر الصعاليك ظهر الإيثار كباعث للحصول علىٰ مجتمع مثالي، حيث أكد الشعراء علىٰ أهمية الإيثار ، كدافع للناس نحو العيش في مجتمع مثالي ، يقول الشنفرىٰ :[١٢٠].

١- وإنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَىٰ الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْم أَعْجَلُ

٢- وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

٣- وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًا بِحُسْنَىٰ وَلا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

وراح الشنفرىٰ يحدثنا عن عزة نفسه وتهذيبها وأدبها الذي يسمو بها ، وكيف أنه يبتعد عن سؤال الأغنياء ، فهو يستف تراب الأرض علىٰ أن يمدَّ أحدٌ إليه يده بفضل أو لقمة يمنَّ بها عليه ، فيقول :[١٢١].

١- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يُرَىٰ لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

فإننا نحس عندهم بالترفع والإيثار والشعور بالكرامة في الحياة ، يصوِّر ذلك أبو خِراش الهذلي ، فيقول:[١٢٢].

١- وَإِنِّي لأُثْوِي الجُوعَ حَتَّىٰ يَملَّنِي فَيذهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلا جِرْمِي

٢- وَأَغْتَبِقُ المَاءَ القَراحَ فَأنتَهِي إِذَا الزَّادُ أَمْسَىٰ للمُزَلَّج ذَا طَعْمِ

٣- أَرُدُّ شُجَاعَ البَطنِ قَد تَعلَمِينَه وَأُوثِرُ غَيرِي مِن عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ

٤- مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذَلَّةٍ وَلَلمَوتُ خَيْرٌ مِن حَيَاةٍ عَلَىٰ رَغْمِ

ولا شك أن هذا الشعور – بالكبرياء والعزة – هو مما دفعهم للخروج علىٰ قبائلهم ، وحال بينهم وبين التماس العون والمساعدة من الأغنياء ، فأخذوا يفتخرون بتعففهم وصبرهم علىٰ الجوع وإيثار غيرهم بالطعام عندما يكونون أحوج الناس إليه ، فكأنهم أرادوا أن يوجهوا هذه الأبيات إلىٰ البخلاء من الأغنياء ، فيذموهم بشُحِّهم وأنهم أحقَّ بالتعظيم والتبجيل منهم ، فالسيادة تتأتىٰ بمكارم الأخلاق بما فيها من قِرىٰ الأضياف والإحسان إلىٰ الجيران وغيرها من الخِلال والصفات الحميدة التي تصنع مجتمعًا مثاليًا يكون قوامه مكارم الأخلاق ، وهي قمة اليوتوبيا ، ومن ذلك قول عروة أيضًا :

١- مَا بِالثَّراءِ يَسودُ كُلُّ مُسوَّدٍ ، مُثْرٍ ، وَلكِنْ بِالفِعَالِ يَسُودُ

٢- بِل لِا أُكاثِرُ صَاحِبي فِي يُسرِهِ وَأَصُدُّ إِذ فِي عَيشِه تَصرِيدُ

٣- فَإِذَا غَنيتُ ، فَإِنَّ جَاري نَيلُهُ مِن نَائِلِي ، ومَيسُرِي مَعهُودُ

٤- وَإِذَا افْتَقرتُ ، فَلن أَرَىٰ مُتخَشّعًا لأخِي غِنىً ، مَعرُوفُه مَكدُودُ

وقد اشتهر عروة بن الورد بكرمه وإيثاره غيره علىٰ نفسه ، وقد ورد في الأغاني قول عبد الملك بن مروان :" مَنْ زَعَمَ أنَّ حَاتمًا أَسْمَحَ النَّاسِ فَقدْ ظَلَمَ عُروة بنَ الوَردِ "(١٢٣).

فلا شك أن الإيثار والكرامة يؤكدان مطالب الصعاليك بحياة اجتماعية يسودها الأخلاق والمكارم ، مما يؤكد مستوىٰ بطولي متفرد عند هذه الطائفة ،

تبدو قيمته في تبرير السلوك الأخلاقي عندهم ، ورفضهم للقهر الواقع علىٰ المجتمع ، فعروة حين رفض أن يكون الثراء هو أساس السيادة ، حاول أن يجعل للسيادة بديلاً آخر يتمثل في الأخلاق ، فينل جاره من نيله ولا يرىٰ متخشعـًا لغنىٰ بخيل ، فالنص يكشف عن الواقع وما فيه من مفارقة ، ويكشف عن رفض الشاعر لهذا الواقع ومعاناته منه ، ولم يلمس فيه ما يسمىٰ بالتكافل الاجتماعي .

ويقول تأبط شرا ، مخاطبـًا الذئب لما عوىٰ وصاح ، إن شأننا قليل ، فلا غنىٰ لك عني ولا غنىٰ لي عنك ، أنت تطلب منىٰ وأنا أطلب منك :[١٢٤].

١ - فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَىٰ ، : إنَّ "ثَابتـًا" قَلِيلُ الغِنَىٰ إنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

فهذا البيت يدل علىٰ إحساسه بغيره ، وشعوره بالمحتاج ولو كان غير إنسان .

إن حركةَ الصعاليك حركةٌ واقعية ، ولكنها كانت مقصورة علىٰ القلة ، القلة التي لا تنفصل بالنسبة لأغلب الناس عن اللايوتوبيا أو معاداة اليوتوبيا ؛ لأنها مرتدية أقنعة القتل والنهب والسلب التي لا تصلح أن تكون نظامـًا للمجتمع ، فكان لابد من ظهور نظام شامل متكامل ، فكان الإسلام ، وهو الحركة السادسة، ولقد أفردت لها مبحثـًا.

*** *** ***

المبحث الخامس : عهد النبوة

حين تشرع في الحديث عن عهد النبوة فلابد أن تتملكك الحيرة ويبلغ بك التردد كل مبلغ ، فمن أين تبدأ ؟، وإلام تنتهي؟ وهل بإمكان لمحاتك العاجلة أن تحتوي إنسانيات هذا العهد الفذ الذي غيَّر البيئة الجاهلية والجزيرة العربية والدنيا والبريَّة من مجتمع فردي متوحش إلىٰ مجتمع جماعي متآلف ؟ .

« فدعوة السلام بين القبائل التي وعاها زهير تتكامل مع دعوة الأحناف للتوحيد في العبادة للإله الواحد ، وتمهدان معا للمناخ الرسولي السياسي معا ، الذي سيضطلع به النبي محمد في حمله للواء الرسالة الإسلامية ، ومع الإسلام اتَّحدت السياسة بالرسالة ، وصار علم تنظيم حياة الشعوب يتجاوز حسابات المصالح القبلية أو القومية » [١٢٥].

فاليوتوبيا التي جاء بها الصعاليك قد راعت أموراً وتركت أخرىٰ ، فكانت إجراءاتُهم غيرَ قادرة علىٰ التغيير والتحوُّل تحولاً كاملاً ، فمحاولتهم قائمة علىٰ مسار واحد وإن كانت تخدم المجتمع إلا أن أساسها عندهم هو الحقد والكراهية للأغنياء البخلاء لذلك كان مصيرها الزوال ؛ لأن كل سياسة تُعلن الحرب علىٰ الكينونة المجتمعية دون تنظيمات اجتماعية أو سياسية تظهر قدرتها علىٰ التغيير ، فهي بمثابة خلق إرهاب يُشيع العنف ويولِّد الدمار أحيانـًا ، لذا تجد منهم الغارات والقتل والثأر دون تمييز محقق ، ولكننا لا ننكر أن حركة الصعاليك كانت النواة الأولىٰ للتغيير الحقيقي القائم علىٰ الثورة والتمرد ، ولكنها كانت يوتوبيا مضادة Untopia ؛ لأنها ممارسات عنصرية ، فكان لابد من ظهور يوتوبيا حقيقية ، تعارض مفهوم المركزية والسيادة الظالمة ، وتطرح مفهوم اتحاد عالمي للجماعات والأمم الحرة ، يستطيع الفرد والمجتمع أن

يعبروا عن شخصياتهم وثقافاتهم دون الخضوع لرقابة ظالمة أو اضطهاد وفق مقاسات خاصة وأغراض سابقة ، بل يحكم العالم قانون أخلاقي قائم علىٰ القناعة دون التمايز العنصري فكان الدين الإسلامي وحركته السامية القائمة علىٰ المساواة والإيثار والتوحيد ....الخ.

" أما اليوتوبيات الأقدم عهداً ، فإن أبعدها خيالاً ، كان ينطوي علىٰ إحساس بإشكالية الطبيعة الإنسانية ، تقوم فرضية الخطيئة الأصلية علىٰ واقعة ازدواج الطبيعة الإنسانية ، فقدرات صُنع الخير ، وابداء الغيرية ، وصُنع الشر ، وإظهار الأنانية والعنف ، كلها صفات ترتبط بالإنسان، إنسان كل العصور» [١٢٦]، فالنفس تحمل في ثناياها اليوتوبيا والديستوبيا معا ، بل خيَّرنا الله تعالىٰ بينهما ، فالحياة الدنيا كلها من أجل (طوبىٰ) ، وهي الطوباوية التي حلم بها الإنسان حلما واقعيـًا.

وتظهر ثنائية الديستوبيا واليوتوبيا في خروج صحابته – صلىٰ الله عليه وسلم – إلىٰ الحبشة ، فكَمْ لَقِيَ الصحابةُ من اضطهاد في أول بعثته صلىٰ الله عليه وسلم !، فخرجوا للحصول علىٰ بيئة خالية من الاضطهاد والظلم ، يبحثون عن الإنسانية ، عن يوتوبيا حلمت بسعادتها البشريةُ ، وبحريتها النفوس ، فكانت خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة ، عندما هاجر الصحابة من قريش إلىٰ أرض الحبشة ، تجد فيها مقارنات ومفارقات بين ديستوبيا قريش، ويوتوبيا محمد – صلىٰ الله عليه وسلم– التي جاء بها الدين الجديد.

ففي المقطع الأول: ذكر جعفرُ ديستوبيا البيئة القرشية ، والمجتمع الجاهلي ، وما فيها من مفاسد وفواحش ، وظلمات ، فقال أيها الملك : كنا قوما أهل

جاهلية ، **نعبد الأصنام** ، **ونأكل الميتة** ، **ونأتي الفواحش** ، **ونقطع الأرحام** ، **ونسيئ الجوار** ، **ويأكل القوىٰ منا الضعيف**، ....

وفي المقطع الثاني: ذكر جعفرُ يوتوبيا الدين الجديد، وما يحمله من فضائل ومُثُلٍ ، قائلا أيها الملك: وبقينا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدَعَانَا إلىٰ الله ، **لنوحده ونعبده**، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وقد أمرنا: **بصدق الحديث** ، **وأداء الأمانة** ، **وصلة الرحم** ، **وحسن الجوار** ، **والكف عن المحارم** ، **وحقن الدماء** ، **ونهانا عن الفواحش** ، **وقول الزور** ، **وأكل مال اليتيم** ، **وقذف المحصنات** ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا، وأن **نقيم الصلاة** ، **ونؤتىٰ الزكاة** ، **ونصوم رمضان**....فصدقناه وآمنا به واتبعناه علىٰ ما جاء به من عند الله تعالىٰ، فحللنا ما أحل لنا وحرمنا ما حرم علينا..

فما كان من قومنا أيها الملك إلا أن عدوا علينا ، فعذبونا أشد العذاب ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلىٰ عبادة الأوثان.... فلما ظلمونا وقهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلىٰ بلادك ، واخترناك علىٰ من سواك ، ورغبنا فىٰ جوارك ورجونا ألا نظلم عندك(١٢٧) .

فلقد « جاءت البعثة المحمدية لإنهاء العصبية القبلية المحمية بنظام القرابة المحدد والمنتج لهرمية المجتمع الجاهلي بما يتضمن من علاقات اقتصادية ومعايير سلوكية ، وتولد بذلك الجدلية العليا التي ستحكم المشروع الثقافي العربي في تاريخيته وهي جدلية الصراع بين الرسالة تارة والأيديولوجيا ، وبينها وبين اليوتوبيا ، فلقد حملت الرسالة – أبان البعثة – الدعوة إلىٰ قلب الانتماء لدىٰ العربي .... ففي أيام البعثة كانت الرسالة تعني تحريراً شمولياً من سيطرة

أيديولوجيا العصبيات القبلية لدىٰ العرب والمؤسسات الامبراطورية لدىٰ الفرس والروم»[١٢٨].

ثم يأتي الخروج الثاني ، خرج النبي – صلىٰ الله عليه وسل – وأصحابه – رضي الله عنهم – من مكة ، بيئة الظلم والقهر والاضطهاد و(الديستوبيا) ، إلىٰ المدينة المنورة ، وهي بيئة الحب والمؤاخاة والإيثار و(اليوتوبيا)، ويؤكد ذلك قوله تعالىٰ:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[١٢٩].

فقبل ظهور الإسلام نلحظ سيطرة القبلية والقوة السُّلطوية التي تمارس القطاع المستبد علىٰ أفراد القبيلة ، فيظهر الخوف والقتل والموت والظلم وعدم المساواة .... الخ ، ولا يستطيع الفرد فعل أي شيء إزاءه ، لذي لما جاء الإسلام أصبحت المجموعية هي الملاذ الذي لابد منه ، ومكاناً قوياً لا يمكن مقاومته ، فكان لابد من الهجرة (الخروج ، ثم بناء الجامع ، ثم المؤاخاة) في بداية عهده وتأسيسه المدينة المنورة.

كما حارب المسلمون الكفار حرباً ضروساً ، وقاتلوا عن عقيدة راسخة ، مؤمنين بما أنزله الله في كتابه من أن خير الموت موت في سبيله ، فيقول عبد الله بن رواحة:(١٣٠)

١- خلُّوا بني الكفار عن سبيلهْ خلُّوا فكلُّ الخير في رسُولهْ

٢- قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيلهْ في صُحُفٍ تُتلىٰ علىٰ رسولهْ

٣- بأنَّ خيرَ القتل في سبيلهْ يا ربِّ إنِّي مؤمنٌ بِقِيْلِهْ

فلابد من تأثُّر المجتمع الجاهلي بالحياة الجديدة ذي الأثر الأخلاقي وما تحمله من أفكار وألفاظ وعبارات ، فالإنسان بفطرته التي فطره الله عليها يحسُّ هذه المثل والفضائل ، ولقد نادىٰ بها عبد الله بن رواحة قائلاً : (١٣١)

١- شهِدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ وأنَّ النارَ مثوىٰ الكافرينا

٢- وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا

٣- وتحمِلُهُ ملائكةٌ كِرامٌ ملائكةُ الإلَهِ مُقَرَّبِينا

كما يشهد بالله أن محمدا رسول الله حقاً ، أرسله الله – تعالىٰ – المتربع علىٰ عرش السماوات ، فيقول ابن رواحة :(١٣٢)

١- شهِدتُ بإذنِ اللهِ أنَّ محمداً رسولُ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَلُ

ويُنادي هذا الدين الجديد بالسلام ، وهو من أهم السمات المثالية التي نادت بها اليوتوبيا ، التي وَعَا إليها زهيرُ بن أبي سلمىٰ من قبل، فالدين الجديد أخرجهم من ظلمات الجهل والوثنية إلىٰ نور الإيمان والسلام ، فيقول ابن رواحة :(١٣٣)

١ - خَلَفَ السَّلامُ علىٰ امرئٍ ودَّعْتُه في النَّخْلِ خيرَ مَشَيِّعٍ وخَليلِ

إن الإسلام خير نظام عرفته البريه ، اختار الله نبيه وصحابته ليقيموا دعائمه ،

يقول كعب بن مالك : (١٣٤)

١ - نَحنُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّها ونِظَامِهَا وَزِمَامِ كُلِّ زِمَامِ

وتظهر قضية الاتباع في قول كعب : (١٣٥)

١ - وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتبعَ أَمْرَه إذَا قَالَ فِينَا القَولَ لا نَتَطلعُ

فيتناول المجتمع الجاهلي وما يحمله من ظلم وعدوان ، ويقاتلهم من أجل تحقيق العدل والمساواة ، وهو نفس المبدأ الذي نادىٰ به الصعاليك من قبل، فيقول كعب : (١٣٦)

١ - نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وعَقُّوا وكَانُوا بِالعَدَاوَةِ مُرصِدِينَا

ويقول عن البغي والجور في المجتمع الجاهلي أيضاً : (١٣٧)

١ - عَجبتُ لأمْرِ اللهِ ، وَاللهُ قَادِرُ عَلَىٰ مَا أَرادَ ، لَيسَ للهِ قَاهِرُ

٢ - قَضَي يَومَ بَدرٍ أنْ نُلاقِي مَعْشراً بَغُوا وسَبِيلُ البَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ

وهذا يثبت أن اليوتوبيات السابقة علىٰ الدين الاسلامي كانت تمهيداً له ، فيوتوبيا الصعاليك ليست متعددة الجوانب ، فهي لم تكن سوىٰ تنظيم للخروج والثورة علىٰ بعض الأمور دون الأخرىٰ ، ومثلها يوتوبيا السلام عند زهير ، ويوتوبيا التوحيد عند أمية ، ويوتوبيا الأخلاق عند عنترة ... فتلك يوتوبيات جزئية وحركات فردية تثبت مجداً شخصياً لأصاحبها ، بخلاف العهد النبوي وشموليته .

« ويعتقد أفلاطون أن الشعب لا يمكن أن يكون قوياً ما لم يؤمن بالله ، وهو إله حي يستطيع أن يحرك الخوف في القلوب التي استولت عليها الأنانية الفردية »[١٣٨].

« **نقصد باليوتوبيا هنا ما هو نموذجي ، كلي، محض، صرف، نقي، مثالي، متعالٍ ، صورة ومتخيل ، وهو ضرورة الإيمان، ولعله نوع من متطلبات التقديس** »[١٣٩]، « **وفي اليوتوبيا الدينية لا مكان للسمة الإقليمية ولا الهوية** »[١٤٠].

ثم بدأت تنطلق دعوته – صلىٰ الله عليه وسلم – نحو الشمولية والمثالية ، والإنسانية النقية ، حاملة لواء التوحيد والأخلاق والفضائل ، بلا جزئية ولا طائفية .... فكان الإسلام .. دين الله الخالد .

الخاتمة

وبعد هذا الطرح السريع لـ" نظرية اليوتوبيا والديستوبيا عند العرب في العصر الجاهلي" نستنتج من البحث ما يلي:

أولاً: النتائج

❖ كانت نظرية اليوتوبيا واحدة من النظريات التي هيأتها بواعث كثيرة لكي تكشف عن تجربة واقعية تمس الجانب الإنساني في البيئة الجاهلية.

❖ كما يكشف البحث عن حركات يوتيوبية متعددة منها: حركة امرئ القيس ، حركة الأحناف ، حركة الحكماء والفرسان ، وحركة الصعاليك ... وغيرها ما زالت تحتاج إلىٰ الدراسة.

❖ أكدت الدراسة أن اليوتوبيا ليست بالضرورة أن يكون المقصود منها الهروب من الواقع نحو أفكار مثالية حالمة غير موجودة أو غير واقعية ، فهي ليست خيالاً جامحًا أو فانتازيا غير ملموسة ، بل يجب أن تكون بمنتهىٰ الواقعية لتغيير واقع ما ، تدعو لتحقيقه علىٰ أرض واقعية.

❖ ويؤكد البحث أن الحركات الثورية في البيئة الجاهلية كانت جزئية تعالج بعض القضايا كالجوع والفقر والمساواة ، والسلم ، وتترك أخرىٰ مثل الثأر ، والمرأة، والغارة، ومع ذلك كان الشعور بهذه الحركات أقوىٰ ما يمكن في ذلك الوقت ؛ لأنها كانت شعاراً لميلاد حياة جديدة وإرهاصات لعهد النبوة.

❖ كما تبيَّن أن الصعاليك طائفة تسعىٰ إلىٰ تصوير مدىٰ فظاعة وجود الشر وعواقبه ، قاصدةً من وراء ذلك محاربة الاتجاه السلبي ، لإظهار مدىٰ قبحه واستنكار النفس البشرية له ونفورها منه .

❖ يرجع السبب في ظهور معاداة اليوتوبيا في سِفر الصعاليك ووثيقتهم التاريخية إلىٰ عاملين ، أولهما : استخدام أداوت غير مقبولة من قتل ونهب وقطع طريق وترويع الآمنين . وثانيهما : قيام عملهم علىٰ الفوضوية وعدم قدرتهم علىٰ خلق عمل له نظام سياسي تقبله البيئة الجاهلية .

التوصيات:

❖ إن وجود مثل هذه المراحل والتطورات في أدبنا القديم ، يؤكد أن تراثنا العربي ما زال بحاجة ماسة إلىٰ إعادة قراءته واستقصائه ، ومن المأمول العثور علىٰ نماذج يوتوبية أخرىٰ غير يوتوبيا الفارابي وأبي العلاء المعري وابن وهب ، وأمية بن أبي الصلت ، وزهير ، وعنترة ، وامرؤ القيس ، والصعاليك ... وغيرهم، وأن يلتفتوا إلىٰ أبعد من ذلك .

الحواشي

(١) اليوتوبيا واليستوبيا مصطلحان أعجميان ، يرادفهما في لغتنا الثرية (العالم المثالي والعالم غير المثالي)، ولكن الخوف من الإطالة في العنوان جعلني أقتصر علىٰ ما اشتُهِرَ من مصطلحات للنظرية، وكذلك (الإيديولوجيا) ويرادفها في لغتنا الثرية (المعتقدات والفلسفة الذاتية)، ولكني اعتمدت علىٰ المشهور.

(٢) اليوتوبيا بين القراءة والخلاص ، مؤلف/ سيلفانا رابينوفيتش ، ترجمة: آمال تمام الكيلاني ، مجلة ديوجين – مصر ، صـ ١٥٠ ، العدد ٢٠٩ ، طبعة سنة ٢٠٠٧ م .

(٣) في اليوتوبيا العربية "، جبار عباس اللامي ، مجلة الثقافة – الأردن ، صـ٢١٦، العدد ٦٠ ، ٢٠٠٣م .

(٤) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا "، مطاع صفدع ، العدد ١٤-١٥ ، صـ ١١ ، مجلة الفكر العربي المعاصر – لبنان ، سنة ١٩٨١م.

(٥) موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، عبد المنعم الحفني ، ٢/ ٨٤٣ ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، سنة ٢٠١٠م .

(٦) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، جميل صليبا ، ٢/ ٢٤ ، دار الكتاب اللبناني ، طبعة سنة ١٩٨٢ م (باب : الطاء ، طوباوية).

(٧) جمهورية أفلاطون (المدينة الفاضلة كما تصوَّرها فيلسوف الفلاسفة)، إعداد/ أحمد المنياوي ، صـ ١٠ ، دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة ، الطبعة ١ ، سنة ٢٠١٠م.

(٨) يوتوبيا ٩ / ١١ : التماس لعالم جديد " ، نيكول شوارتز مورجان ، ترجمة / سعاد الطويل ، العدد ٢٠٩ ، مجلة ديوجين – مصر ، صـ ٦٣.

(9): أورده LESJEK KOLAKOWSKI ،The Death of utopia Reconsidered TheTheaner lectures on human values the Austratian National university . june 22.1982.

(١٠) بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، العدد ١٣ ، المجلة العربية لعلم الاجتماعي – لبنان ، سنة ٢٠١١ م ، صـ ١٤١ .

(١١) بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٤ .

(١٢) ينظر : المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ٢/ ٢٤.

(13) Booker, M. Keith. Monsters, mushroom clouds, and the Cold War: American science fiction and the roots of postmodernism, 1946-1964. Vol. 95. Greenwood Publishing Group, 2001.. P: 23

(١٤) ينظر: ثنائية (اليوتوبيا والديستوبيا) في الرواية العراقية ، أحمد عبد الرازق ناصر الحسني ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد – العراق ، العدد١١٢ ، سنة ٢٠١٥م ، صـ ١٣٦ .

(١٥) ينظر: الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم : تأصيلات نظرية في الممارسات السياسية ، محمد أمين جيالي ، مجلة الاستغراب – مكتب بيروت لبنان ، العدد ٦ ، سنة ٢٠١٧م ، صـ٢٣٦ .

(١٦) ينظر: الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم ، صـ ٢٣٦ .

(١٧) ينظر : جمهورية أفلاطون ، صـ ١٠ – ٣١ بتصرف كبير .

(١٨) ينظر : السابق ، صـ ٣٦ .

(١٩) ينظر: الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، محمد ذنون زينو الصائغ ، مجلة الوثيقة – البحرين ، مج ٣١ ، العدد ٦٢ ، صـ ٦٦ ، سنة ٢٠١٢م.

(٢٠) ينظر : مدينة الله ، للقديس أوغسطينس ، نقله إلىٰ العربية / الخور أسقف يوحنا الحلو ، دار المشرق – لبنان ، مج١/ ٧-٩ ، الطبعة الثانية ، سنة ٢٠٠٦م.

(٢١) ينظر : جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٧.

(٢٢) الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، صـ ٦٧.

(٢٣) السابق ، صـ ٦٧.

(٢٤) جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٧.

(٢٥) ينظر : يوتوبيا ، توماس مور ، ترجمة وتقديم/ أنجيل بطرس سمعان ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، صـ ١٠- ٦٦ بتصرف كبير ، إطلالة سريعة علىٰ المحتوىٰ الكلي للكتاب.

(٢٦) الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، صـ ٦٧.. لم أستطع الوقوف علىٰ كتاب(أطلطنا الجديدة).

(٢٧) ينظر : بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٢.

(٢٨) ينظر : الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، صـ ٦٧.

(٢٩) ينظر: مركزية المعرفة في مدينة الشمس " قراءة في يوتوبيا الفيلسوف الإيطالي توماس كامبنيلا " للباحث المغربي / محمد قنفودي ، موقع/ مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ١٨ يوليو ٢٠١٦ ، صـ ٨ .

(٣٠) ينظر: السابق ، صـ ١٠ .

(٣١) ينظر: السابق ، صـ ١٠ .

(٣٢) المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ماريا لويزا برنيري ، ترجمة :عطيات أبو السعود، عالم المعرفة ، العدد 225 ، ديسمبر 1997 م ، صـ ٣٧٦.

(٣٣) الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، صـ ٦٧-٦٨ .

(٣٤) السابق ، صـ ٦٨ .

(٣٥) السابق ، صـ ٧١ .

(٣٦) ينظر : بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٤.

(٣٧) التيجان في ملوك حمير ، وهب بن منبه رواية ابن هشام ، تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والأبحاث اليمنية – الجمهورية العربية اليمنية – صنعاء ، ط ١ ، سنة ١٣٤٧ه ، صـ ١١٢ .

(٣٨) ينظر : السابق ، صـ ٩- ٤٩٩ ، بتصرف كبير

(٣٩) جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٧.

(٤٠) الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ ، سمير إبراهيم حسن ، و سلطان محمد الهاشمي ، المجلة العربية – لبنان ، العدد ٣٣-٣٤ ، سنة ٢٠١٦م ، صـ ١٢٦-١٢٧.(بحث).

(٤١) ينظر : آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادَّاتها ، لأبي نصر محمد الفارابي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة– القاهرة (د/ ط.ت). صـ٧– ١٠٦ بتصرف كبير .

(٤٢) ينظر : جمهورية أفلاطون ، صـ٣٩.

(٤٣) ينظر : في اليوتوبيا العربية ، جبار عباس اللامي ، صـ٢١٨ بتصرف.

(٤٤) ينظر : الموسوعة الفلسفية ، عبد المنعم الحفني ١/ ٥٨ . وينظر: في اليوتوبيا العربية ، صـ٢١٧.

(٤٥) ينظر : في اليوتوبيا العربية ، صـ٢١٨.

(٤٦) السابق ، صـ٢١٦.

(٤٧) ينظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفاني ، تحقيق/ سمير جابر ، ٩/ ٨٢ ، دار الفكر بيروت ، ط٢ .

(٤٨) ديوان امرئ القيس ، تحقيق/ عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ ، ص١٣٨ .

(٤٩) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة والثلاثون .(د/ ت) ، صـ ٢٤١-٢٤٢.

(٥٠) ديوان امرئ القيس ، تحقيق/ عبد الرحمن المصطاوي ، ص١٣٩ .

(٥١) الرسالة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا ، مطاع صفدع ، صـ٧ .

(٥٢) شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، قدم له وعلق / سيف الدين الكاتب ، و أحمد عصام الكاتب ، صـ٧ ، منشورات مكتبة الحياة – بيروت .(د/ ت.ط).

(٥٣) السابق ، صـ٨.

(٥٤) الأغاني ، لأبي الفرج ، ٤/ ١٢٩ ، دار الفكر .

(٥٥) شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، صـ٢٠

(٥٦) السابق ، صـ٤٦.

(٥٧) السابق ، صـ٩١.

(٥٨) السابق ، صـ٧٧.

(٥٩) السابق ، صـ٣٦.

(٦٠) السابق ، صـ ٥٧.

(٦١) السابق ، صـ ٦٢.

(٦٢) السابق ، صـ ٩٣.

(٦٣) السابق ، صـ ٨٠.

(٦٤) السابق ، صـ ٧١.

(٦٥) السابق ، صـ ٣٧.

(٦٦) السابق ، صـ ٤٦.

(٦٧) السابق ، صـ ٥٠.

(٦٨) السابق ، صـ ٦١.

(٦٩) السابق ، صـ ٤٧.

(٧٠) السابق ، صـ ٨٠.

(٧١) الرسالة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا ، مطاع صفدع ، صـ ٧ (بحث).

(٧٢) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧١.

(٧٣) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، قدم له وعنىٰ به / مجيد طراد ، صـ ٢٢ ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، سنة ١٤١٢ ه – ١٩٩٢ م.

(٧٤) السابق ، صـ ٢٥.

(٧٥) السابق ، صـ ١٦٧.

(٧٦) السابق ، صـ ١٧٢.

(٧٧) السابق ، صـ ٢٠٨-٢٠٩.

(٧٨) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧٤.

(٧٩) شرح ديوان زهير بن أبي سلمىٰ ، صنعه / أبو العباس ثعلب ، قدم له وعنىٰ به/ حنا نصر الحتي ، صـ ١٦ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة ١٤٢٤ ه – ٢٠٠٤ م (د/ ط).

(٨٠) السابق ، صـ ٨٢ ، وفيه (النِّفار: أن يتنافروا إلىٰ الحاكم ، رجلٍ يحكم بينهم . والجلاء : أن ينكشف الأمر وينجلي . واليمين).

(٨١) كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق/ علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، صـ ٣٤٢ ، ط ١ ، سنة ١٣٧١ ه – ١٩٥٢ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ الحلبي.

(٨٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، قدم له / حسن تميم ، راجعه / محمد عبد المنعم الريان ، صـ ٧٥ ، دار إحياء العلوم – بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م .

(٨٣) ينظر: شرح ديوان زهير ، صنعة/ ثعلب ، صـ ١٣٠ ، وجاء فيه (ضريبته: طبيعته . يعصمه: يمنعه)

(٨٤) ينظر : السابق ، صـ ١٢٨ ، وجاء فيه (أي يُطلبُ إليه في غير موضع الطلب ، فيَجمِلُ ذلك إليهم ، وقال ثعلب: سمعت أعرابياً ينشد" ويُظْلَمُ أحْياناً فَيَنْظَلِمُ ")

(٨٥) ينظر : السابق ، صـ ٤٢.

(٨٦) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٠٣.

(٨٧) ينظر : المحبّر لأبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية / أبي سعيد السّكري ، عنىٰ به دكتورة / إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة – بيرو (د/ ط.ت)صـ ٢٣٧-٢٣٨ .

(٨٨) شرح ديوان زهير ، صنعة/ ثعلب ، صـ ٤٠-٤١.

(٨٩) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ٧.

(٩٠) بين يوتوبيا الواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٢ .

(٩١) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٠٨.

(٩٢) ديوان تأبط شرا وأخباره، تحقيق/ علىٰ ذو الفقار شاكر ، صـ ٢٠٣ ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، سنة ١٤٠٤ ه – ١٩٨٤م.

(٩٣) شرح ديوان زهير ، صنعة/ ثعلب ، صـ ٤٢-٤٣.

(٩٤) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ٧.

(٩٥) شرح ديوان زهير ، صنعة/ ثعلب ، صـ ١٢٩ ، وفيه (الخَلِيلُ من الخَلَّة : الفقير ، والحَرِمُ : المنع ، أي ليس لمالي مَنْعٌ عَنكَ).

(٩٦) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٣٢.

(٩٧) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ٨.

(٩٨) السابق ، صـ ٧.

(٩٩) موسوعة علم النفس ، أسعد رزوق ، مراجعة :عبدالله عبد الدايم، ط ٣، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٧ م ، صـ ٢٨٥.

(١٠٠) يوتوبيا ٩/ ١١ ، التماس العالم الجديد ، مؤلف/ مورجان نيكول شوارتز ، ترجمة / سعاد الطويل ، صـ ٦٨ ، مجلة ديوجين –مصر ، العدد ٢٠٩ ، سنة ٢٠٠٧ م.

(١٠١) الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ،صـ 323 ،مكتبة النهضة- مصر ،١٩٥٢م

(١٠٢) بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس (ت١٤٢٤هـ) ، صـ ٢٢٩ ،الطبعة: الرابعة، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، ١٩٧٨ م .

(١٠٣) السابق ، صـ ٢٢٩-٢٣٠.

(١٠٤) ديوان عروة(أمير الصعاليك)، تحقيق / أسماء أبو بكر محمد ، صـ 9 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٨ هـ - 1998 م. العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٨٤.

(١٠٥) ديوان عروة بن الورد ، صـ 9 . العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٨٤.

(١٠٦) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا .د .عفيف عبد الرحمن، ص 19 دار الفكر، عمان 1977 م.

(١٠٧) شعرنا القديم رؤية عصرية ، أحمد سويلم ، صـ2 المجلس الأعلىٰ للثقافة- مصر 1979م.

(١٠٨) ديوان عروة بن الورد ، صـ 69 .

(١٠٩) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧٥ .

(١١٠) ديوان عروة، تحقيق / أسماء أبو بكر ، صـ 97 .

(١١١) ديوان الهذليين، القسم الثاني، صـ 125 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٩٥م.

(١١٢) النزعات المادية في الفلسفة العربية ، حسين مروة ، ج ١/ ٢٠٩ ، دار الفارابي، بيروت ، سنة 1979 م ، (د/ ط).

(١١٣) ديوان الشنفرىٰ ، تحقيق / إميل بديع يعقوب ، صـ ٣٧ ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط٢ ، سنة ١٤١٧ ه – ١٩٩٦م.وينظر الأغاني ١٠/ ١٨٦ ، دار الفكر .

(١١٤) ديوان عروة بن الورد ، صـ 60 .

(١١٥) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، حسين عطوان، دار المعارف مصر، 1970، ص12 .

(١١٦) ديوان الهذليين ،القسم الثالث ، صـ 114 .

(١١٧) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب– قسطنطينية ، ط١، ١٣٠٢ه، صـ٢٨– ٢٩.

(١١٨) ديوان الشنفرىٰ ، تحقيق / إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي – لبنان ، ط٢ ، سنة ١٤١٧ه – ١٩٩٦م، صـ٥٨–٥٩.

(١١٩) ديوان عروة بن الورد ، صـ٤٨ .

(١٢٠) ديوان الشنفرىٰ ، تحقيق / إميل يعقوب ، صـ٥٩–٦٠.

(١٢١) السابق ، صـ٦٢ .

(١٢٢) ديوان الهذليين ، القسم الثاني ١٢٧–١٢٨ ، دار الكتب المصرية .

(١٢٣) الأغاني ٣/ ٧٣ ، دار الفكر .

(١٢٤) ديوان تأبط شرا ، تح/ ذو الفقار ، صـ١٨٣.

(١٢٥) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، مطاع صفدع ، صـ٨.

(١٢٦) بين الواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم عبودي ، صـ١٣٩ .

(١٢٧) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف/ أبو القاسم عبد الرحمن بن السهيلي (٥٨١هـ) ، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي ، ٣/ ١٥٠ ، دار إحياء التراث – بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(١٢٨) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ١٧.

(١٢٩) سورة الحشر ، آي ٧ ، ٨ .

(١٣٠) ديوان عبد الله بن رواحة .. ودراسة في سيرته وشعره ، تحقيق/ وليد قصَّاب ، صـ٩١ ، دار العلوم ، ط١ ، سنة ١٤٠١ ه – ١٩٨١م.

(١٣١) السابق ، صـ٩٢.

(١٣٢) السابق ، صـ٩٣.

(١٣٣) السابق ، صـ٩٥.

(١٣٤) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق/ سامي مكي العاني ، صـ ٨٥ ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٣٨٦ ه – ١٩٦٦م.

(١٣٥) السابق ، صـ ١٠٥ .

(١٣٦) السابق ، صـ ١٠٧ .

(١٣٧) السابق ، صـ ١١١ .

(١٣٨) جمهورية أفلاطون ، تحقيق وتعليق / أحمد المنياوي ، صـ ٤٥ .

(١٣٩) الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ ، سمير إبراهيم حسن ، صـ ١٢٥ .

(١٤٠) السابق ، صـ١٢٦.

المصادر والمراجع

١. آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادَّاتها ، لأبي نصر محمد الفارابي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة– القاهرة ، (د/ ط . ت).

٢. الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا ، عفيف عبد الرحمن ، دار الفكر، عمان 1977م ، (د/ ط).

٣. الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ ، سمير إبراهيم حسن ، و سلطان محمد الهاشمي ، المجلة العربية – لبنان ، العدد ٣٣-٣٤ ، سنة ٢٠١٦م .

٤. الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، محمد ذنون زينو الصائغ ، مجلة الوثيقة – البحرين ، مج ٣١ ، العدد ٦٢ ، سنة ٢٠١٢م.

٥. الأغاني ، لأبي الفرج الأصفاني ، تحقيق / سمير جابر ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ .

٦. الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم : تأصيلات نظرية في الممارسات السياسية ، محمد أمين جيالي ، مجلة الاستغراب – مكتب بيروت لبنان ، العدد ٦ ، سنة ٢٠١٧م .

٧. بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس (ت١٤٢٤هـ) ،الطبعة: الرابعة، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، ١٩٧٨ م .

٨. بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل "، عبد الكاظم العبودي ، العدد ١٣ ، المجلة العربية لعلم الاجتماعي – لبنان ، سنة ٢٠١١ م .

٩. التيجان في ملوك حمير ، وهب بن منبه رواية ابن هشام ، تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والأبحاث اليمنية – الجمهورية العربية اليمنية – صنعاء ، ط ١ ، سنة ١٣٤٧ه .

١٠. ثنائية (اليوتوبيا والديستوبيا) في الرواية العراقية ، أحمد عبد الرازق ناصر الحسني ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد – العراق ، العدد١١٢ ، سنة ٢٠١٥م .

١١. جمهورية أفلاطون (المدينة الفاضلة كما تصوَّرها فيلسوف الفلاسفة)، إعداد/ أحمد المنياوي ، دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة ، الطبعة ١ ، سنة ٢٠١٠م.

١٢. الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، د/ أحمد محمد الحوفي ، مكتبة نهضة القاهرة – مصر ، ١٩٥٢م.

١٣. ديوان تأبط شرا وأخباره، تحقيق/ علىٰ ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ،١٩٨٤م.

١٤. ديوان الشنفرىٰ ، تحقيق / إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط٢ ، سنة ١٤١٧ ه – ١٩٩٦م.

١٥. ديوان عبد الله بن رواحة .. ودراسة في سيرته وشعره ، تحقيق/ وليد قصَّاب ، دار العلوم ، ط١ ، سنة ١٤٠١ ه – ١٩٨١م.

١٦. ديوان عروة(أمير الصعاليك)، تحقيق / أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٨ هـ - 1998 م. العصر الجاهلي ، شوقي ضيف .

١٧. ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق/ سامي مكي العاني ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٣٨٦ ه – ١٩٦٦م.

١٨. ديوان الهذليين، القسم الثاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٩٥م.

١٩.الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا "، مطاع صفدع ، العدد ١٤-١٥ ، مجلة الفكر العربي المعاصر – لبنان ، سنة ١٩٨١م.

٢٠.الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف/ أبو القاسم عبد الرحمن بن السهيلي (٥٨١هـ) ، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي ، ٣ / ١٥٠ ، دار إحياء التراث – بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٢١. شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، قدم له وعلق / سيف الدين الكاتب ، و أحمد عصام الكاتب ، صـ٧ ، منشورات مكتبة الحياة – بيروت .(د/ ت.ط).

٢٢. شرح ديوان زهير بن أبي سلمىٰ ، صنعه / أبو العباس ثعلب ، قدم له وعنىٰ به/ حنا نصر الحتي ، صـ١٦ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة ١٤٢٤ ه – ٢٠٠٤ م (د/ ط).

٢٣. شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، قدم له وعنىٰ به / مجيد طراد ، صـ٢٢ ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، سنة ١٤١٢ ه – ١٩٩٢ م.

٢٤. شعرنا القديم رؤية عصرية ، أحمد سويلم ، المجلس الأعلىٰ للثقافة، جمهورية مصر 1979م.

٢٥. الشعر والشعراء لابن قتيبة ، قدم له / حسن تميم ، راجعه / محمد عبد المنعم الريان ، دار إحياء العلوم – بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م .

٢٦. الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، حسين عطوان ، دار المعارف بمصر،1970 م.

٢٧. الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق/ علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، صـ٣٤٢ ، ط ١ ، سنة ١٣٧١ ه – ١٩٥٢ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ الحلبي.

٢٨. العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ٢٤١-٢٤٢ ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة والثلاثون .(د/ ت).

٢٩. في اليوتوبيا العربية "، جبار عباس اللامي ، مجلة الثقافة – الأردن ، العدد ٦٠ ، ٢٠٠٣م.

٣٠.المحبّر لأبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية / أبي سعيد السّكري ، عنىٰ به دكتورة / إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة – بيرو (د/ ط.ت).

٣١. المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ماريا لويزا برنيري ، ترجمة :عطيات أبو السعود، عالم المعرفة ، العدد 225 ، ديسمبر 1997 م .

٣٢. مدينة الله ، للقديس أوغسطينس ، نقله إلىٰ العربية / الخور أسقف يوحنا الحلو ، دار المشرق – لبنان ،الطبعة الثانية ، سنة ٢٠٠٦م.

٣٣. مركزية المعرفة في مدينة الشمس " قراءة في يوتوبيا الفيلسوف الإيطالي توماسو كامبنيلا " للباحث/ محمد قنفودي ، موقع/ مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ١٨ يوليو ٢٠١٦.

٣٤.المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، طبعة سنة ١٩٨٢ م (باب : الطاء ، طوباوية).

٣٥.موسوعة علم النفس ، أسعد رزوق ، مراجعة :عبدالله عبد الدايم، ط ٣، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٧ م ، صـ ٢٨٥.

٣٦. موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، سنة ٢٠١٠م .

٣٧. النزعات المادية في الفلسفة العربية ، حسين مروة ، دار الفارابي، بيروت ، سنة 1979 م ، (د/ ط).

٣٨. نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ، مطبعة الجوائب – قسطنطينية ، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٠٢ه .

٣٩. يوتوبيا ، توماس مور ، ترجمة وتقديم/ أنجيل بطرس سمعان ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

٤٠. يوتوبيا ٩ / ١١ : التماس لعالم جديد " ، مؤلف/ نيكول شوارتز مورجان ، ترجمة / سعاد الطويل ، العدد ٢٠٩ ، مجلة ديوجين – مصر ، سنة ٢٠٠٧ م.

٤١. اليوتوبيا بين القراءة والخلاص" ، مؤلف/ سيلفانا رابينوفيتش ، ترجمة: آمال تمام الكيلاني ، مجلة ديوجين – مصر ، العدد ٢٠٩ ، طبعة سنة ٢٠٠٧ م .

المصادر والمراجع الأجنبية

42. Booker, M. Keith. Monsters, mushroom clouds, and the Cold War: American science fiction and the roots of postmodernism, 1946-1964. Vol. 95. Greenwood Publishing Group, 2001.

43. Lesjek Kolakowski ،The Death of utopia Reconsidered TheTheaner lectures on human values the Austratian National university . june 22.1982.

Sources and references

1) The opinions and oppositions of the people of the perfect city, Abu Nasr Muhammad Al-Farabi, Hindawi Foundation for Education and Culture - Cairo, (d / i. T.).
2) Pre-Islamic Literature in the Archeology of Scholars, Old and New, Afif Abdel Rahman, Dar Al-Fikr, Amman 1977 AD, (d / i)
3) Islam between Utopia and History, Samir Ibrahim Hassan and Sultan Muhammad al-Hashemi, The Arab Magazine - Lebanon, Issue 33-34, in 2016 AD.
4) Alienation, the emergence of the city and utopia, Muhammad Thanoon Zeno Al-Sayegh, Al-Wathiqa Magazine - Bahrain, Volume 31, Issue 62, in 2012 AD.
5) Al-Aghani by Abi Al-Faraj Al-Asfani, edited by Samir Jaber, Dar Al-Fikr - Beirut, 2nd Edition.
6) Ideology and Utopia in Mannheim Thought: Theoretical Foundations in Political Practices, Muhammad Amin Jiyali, Al-Asturab Magazine - Beirut Lebanon Office, Issue 6, 2017 AD.
7) Badr Shaker Al-Sayyab, a study of his life and poetry, Ihssan Abbas (d. 1424 AH), fourth edition, Dar Al-Thaqafa, Beirut - Lebanon, 1978 AD.
8) Between utopia, reality, and the dream of a future peace, "Abd al-Kadhim al-Aboudi, Issue 13, Arab Journal of Social Science - Lebanon, in 2011 AD.
9) The Crowns in the Kings of Himyar, Wahb bin Munabbih Ibn Hisham's narration, edited and published / Center for Studies and Research in

Yemen - The Arab Republic of Yemen - Sana'a, 1st Edition, year 1347 AH.

10) The Dualism (Utopia and Dystopia) in the Iraqi Novel, Ahmed Abdul-Raziq Nasser Al-Hasani, Journal of the College of Arts, University of Baghdad - Iraq, Issue 112, 2015 AD.
11) The Republic of Plato (The utopian city as envisioned by the philosopher of the philosophers), prepared by / Ahmed El-Miniawy, Arab Book House - Damascus - Cairo, 1st edition, 2010 AD.
12) The Arab Life in Pre-Islamic Poetry, Dr. Ahmed Muhammad Al-Hofi, Nahdet Al-Qahirah Library - Egypt, 1952 AD.
13) Court of Corrupted Evil and its News, edited by Ali Zulfiqar Shaker, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st Edition, 1984 AD.
14) Al-Shanfari Diwan, edited by Emile Badi Yaqoub, Arab Book House, Beirut, 2nd Edition, 1417 AH - 1996 AD.
15) The Divan of Abdullah bin Rawaha ... and a study of his biography and poetry, edited by Walid Kassab, Dar Al-Uloom, 1st Edition, year 1401 AH - 1981 AD.
16) Diwan Urwah (Prince of the Tales), verified / Asma Abu Bakr Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ulmiyyah, Beirut, 1418 AH - 1998 AD. The Pre-Islamic Era, Shawqi Dhaif.
17) The Court of Kaab bin Malik Al-Ansari, verified by Sami Makki Al-Ani, Al-Nahda Library Publications - Baghdad, 1st Edition, 1386 AH - 1966 AD.
18) The Office of Al-Hudhalin, Section Two, Egyptian Book House Press, 2nd Edition, 1995 AD.
19) The message between ideology and utopia, "Mata'a Safada, Issue 14-15, Journal of Contemporary Arab Thought - Lebanon, in 1981 AD.
20) Al-Rawd al-Anf in Explaining the Biography of the Prophet by Ibn Hisham, the author / Abu al-Qasim Abd al-Rahman bin al-Suhaili (581 AH), edited by Omar Abd al-Salam al-Salami, 3/150, House of Revival of Heritage - Beirut, 1st Edition, year 1421 AH - 2000 AD.
21) Explanation of the Office of Umayya ibn Abi Salt, presented to him and commented by / Seif al-Din al-Kateb, and Ahmad Essam al-Katib, page 7, Publications of the Library of Life - Beirut. (Dr. / T.T.).
22) Explanation of the poetry of Zuhair bin Abi Salma, made by / Abu Al-Abbas Thaleb, presented to him and concerned with it / Hanna Nasr Al-Hatti, p. 16, Dar Al-Kitaab Al-Arabi - Beirut, year 1424 AH - 2004 AD (d / i).

23) Explanation of Antara Court of Al-Khatib Al-Tabrizi, presented to him and concerned with him / Majeed Trad, p. 22, Dar Al-Kitaab Al-Arabi, 1st Edition, year 1412 AH - 1992 AD.
24) Our Ancient Poetry, a Modern Vision, Ahmed Sweilem, Supreme Council of Culture, Republic of Egypt, 1979.
25) Poetry and poets by Ibn Qutaybah, presented to him by Hassan Tamim, revised by Muhammad Abdel Moneim Al-Rayyan, House of Revival of Sciences - Beirut, 3rd Edition, year 1407 AH - 1987 AD.
26) The Tramps Poets of the Umayyad Era, Hussein Atwan, Dar Al Ma'arif, Egypt, 1970 AD.
27) The two industries, by Abu Hilal Al-Askari, edited by Ali Al-Bedjawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, p. 342, 1st edition, year 1371 AH - 1952 AD, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Halabi
28) The Pre-Islamic Age, Shawqi Dhaif, pp. 241-242, Dar Al-Maarif, Thirty-third Edition (D / T).
29) In the Arab utopia, Jabbar Abbas Al-Lami, Culture Magazine - Jordan, Issue 60, 2003 AD.
30) Al-Mughbir by Abu Jaafar Muhammad bin Habib, the narration of / Abu Sa`id al-Sukari, meant by Dr. Elza Lichten Stetter, Dar Al-Horizon Al-Jadidah - Peru (d / T.
31) The Utopia Throughout History, Maria Luisa Berneri, translated by: Attiyat Abu Al-Saud, The World of Knowledge, Issue 225, December 1997.
32) The City of God, by Saint Augustine, transmitted to Arabia / Al-Khor, Bishop of Youhanna El Helou, Dar Al-Mashriq - Lebanon, second edition, year 2006 AD.
33) The Center of Knowledge in the City of the Sun “Reading in the Utopia of the Italian Philosopher Tommaso Campanella” by the researcher / Muhammad Qanfoudi, Believers Without Borders for Studies and Research, July 18, 2016.
34) The Philosophical Dictionary of Arabic, French, English and Latin Expressions, Jamil Saliba, The Lebanese Book House, 1982 AD Edition (Chapter: Ta, Utopia).
35) Encyclopedia of Psychology, Asaad Razzouq, reviewed by: Abdullah Abdel Dayem, 3rd ed., The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1987 AD, p. 285.

36) Encyclopedia of Philosophy and Philosophy, Abdel Moneim El-Hefny, Madbouly Library, 3rd Edition, 2010 AD.
37) Materialistic tendencies in Arab philosophy, Hussein Marwa, Dar Al-Farabi, Beirut, in the year 1979 AD, (d / i).
38) Criticism of poetry, Qudamah bin Jaafar (d. 337 AH), Al-Jawaib Press - Constantinople, Edition: First, 1302 AH.
39) Utopia, Thomas More, translation and presentation / The Bible of Boutros Samaan, 2nd Edition, Egyptian General Book Authority, 1987.
40) Utopia 9/11: A Plea for a New World, Author / Nicole Schwartz Morgan, translation / Suad Al-Tawil, Issue 209, Diogenes Magazine - Egypt, 2007.
41) Utopia between reading and salvation, Author / Silvana Rabinovitch, translation: Amal Tamam Al-Kilani, Diogenes Magazine - Egypt, No. 209, 2007 edition.